ولا فى الأحـــلام

بقلم: مشاعر غالية

دعاء عبد الرحمن

هذه القصة من وحى خيال الكاتبة وأى تشابه بينها وبين الواقع

(ماليش دعوى)

من حقك ان تقول رايك ومن حقى أن أرفضه أو اقبله فأنا غير محايده

مقدمة

عندما نسأم عالمنا ونتمرد عليه ونكره هواءه الملوث بدماء أحبائنا وترابه المخلوط برُفاتهم الطاهر ،،،
نحاول أن نبتعد عنه بأرواحنا قليلا ونسبح فى (خيالاتنا) الوردية التى ننسجها كيفما نشاء فننصر فيه الحق بحد القلم و نقطع رقبة الظلم بمداده .
فنشعر بالإنتصار والإنتشاء ونحن نرى الباطل يضمحل ويتراجع ويخبو بين سطور أوراقنا وفى أحلامنا بعد أن تفشى وانتشر فى عالمنا الحقيقى وكاد أن يدهس رقابنا ..
تلك الأحلام التى تجذبنا إليها برونقها ولا تتركنا إلا بعد أن تُطعِمُنا الأمل ..
لذلك لا ضير فى أن نسبح قليلاً فيها .. مندفعين إلى ذاك الرونق الجذاب وتلك الهالة الفيروزية التى تأخذنا إلى عالم الامعقول فنُنسينا عذابنا بين طياتها الخيالية ..
ننعم بها قليلاً قبل أن نرحل وننفصل عنها إلى حيث عالمنا الحقيقى الذى أصبح ما يحدث فيه **... ولا فى الأحلام**

الفصل الأول

كان يا ما كان فى سالف العصر والآوان من عصور مضت بعيدة وحضارات بدت رشيدة وهى فى الأصل سحيقة ...
قصر مشيد أعلى ربوة كبيرة على أطراف المدينة ، ترتفع حوله الأسوار لتفصله عن الأنظار ، وحول الأسوار أبراج عالية تراقب الخارج والداخل من الأشرار وبداخله بستان زُرع فيه كل أنواع الأشجار ، ويعلوه قبة مرتفعة خطيرة شديدة الإنحدار .

هذا القصر للملك المنصور ، هذا الملك الذى ذاع سيطه بعد توليه الحكم بشهور، وبعد سنين وعقود ماتت زوجته وتركته وحيداً حزيناً ولم يخفف عنه بعض أحزانه إلا ابنته الأميرة ياسمينا ووولده الأمير سيسيان .

كانت الأميرة ياسمينا هى الأقرب إلى والدها الملك لشدة قربها من والدتها قبل وفاتها ولتقارب ملامحهما إلى حد كبير فلقد ورثت الأميرة ياسمينا جمال والدتها ورقتها ومكانتها الفريدة فى قلب الملك ، لذلك يحقد عليها أخيها الأمير سيسيان ويكرهها ويتمنى إزاحتها عن طريقه ليمتلك قلب والده وحده ، وليمتلك الحكم أيضا وحده ..

ولقد كانت الأميرة تشعر بذلك وكم كانت تكره ضعفها أمامه لذلك كانت تبغض كونها أنثى رغم حسنها ورقتها إلا أنها بعد وفاة والدتها ظلت دائما تحاول الظهور بمظهر القطة الشرسة المتنمرة فتحولت أنوثتها إلى كبرياء وغرور وطغت على ملامحها القسوة والامبالاة ولكن كل هذا لم يكفى بعد مازالت تشعر بالضعف مازالت أنثى رغما عنها .

لذلك تطلعت إلى ماهو أكبر من القسوة والغرور تطلعت إلى فنون الرجال ، الحرب وأسحلتها القاتلة آن ذاك ... وألحت على والدها أن يأتى لها بقائد الجيوش كى يعلمها فنون القوس والسهم وضرب السيوف .

رفض فى البداية ولكن تحت إلحاحها وأصرارها الرهيب اضطر إلى الموافقة على طلبها الغريب ، شعرت الأميرة بالسعادة والإنتصار فهاهى ستتعلم فنونهم أخيرا لتحاكى الرجال .

واستعدت إلى ذلك اليوم الذى ستبدأ فيه أول أيامها فى عالم الرُماة ..

لكنها لم تكن تعلم ماذا ينتظرها هناك .

****

- ماذا تقول يا قائد الحرس ؟ أريد أن اراه فى الحال

إرتبك قائد الحرس وقال بخوف واضح :

- يا مولاى أرجوك إهدأ قليلاً قائد الجيوش تابعك المخلص من سنين .. أرجوك يا مولاى "المنصور" أستمع إليه أولاً

أومأ الملك بعينيه موافقاً على مضض فانحنى قائد الحرس أمامه وخطى خطوات للخلف وذهب إلى باب القاعة الملكية وأمر الحراس بالنداء على قائد الجيوش ..

خطى قائد جيوش المملكة خطوات بطيئة وهو يدلف إلى القاعة الملكية وعندما اقترب من الملك إنحنى قليلاً وقال بجمود :

- مولاى

هتف الملك المنصور فجأة بعصبية واضحة وهو يؤنب قائد جيوشه قائلا:

- منذ متى وأنت تعارض أوامرى يا قائد الجيوش

ابتلع قائد الجيوش ريقة بصعوبة وهو يبذل جهد حتى لا يظهر توتره قائلا:

- ما كان لى أن افعل يا مولاى لكن .. لكن أنا فى النهاية قائد جيوش المملكة أما بما يخص تعليم الأميرة فنون الرماية فسوف أحضر لها أفضل الرماة فى صفوف الجيش .

كان الأمير "سيسيان" يجلس عن يمين أبيه ويتابع ما يحدث بصمت وانتباه وعندما إنتهى قائد الجيوش من عبارته وقبل أن يهتف والده مرة أخرى مال بأتجاه ابيه قليلا وقال هامساً :

- بعد اذن مولاى كلام قائد الجيوش مقبول .. فكيف لقائد الجيوش أن يترك مهامه العظام ويأتى ليعلم الأميرة فنون الرماية .

نظر إليه والده بطرف عينه وهو يهتف بحنق :

- أتريدنى أن أئتمن جندى على أختك الأميرة "ياسمينا" يا "سيسيان" ؟

تدخل قائد الجيوش وهو ينحنى مرة أخرى قائلا برجاء:

- مولاى .. فهو ليس جندى عادى .. أنه قائد الرُماة فى صفوف الجيوش يا مولاى .. ولا يشق له غبار فى السهم والقوس والسيف يا مولاى المنصور

بدا على وجه الملك الإقتناع قليلاً ومن ثم بدء يهدأ وتنخفض نبرة صوته الحادة وقال متمتماً وهو ينظر لولده:

- لكن الأميرة طلبت قائد الجيوش شخصياً

قال "سيسيان" وهو يتبادل مع قائد الجيوش وقائد الحرس النظرات الساخرة دون ان يلاحظهم الملك:

- الأميرة "ياسمينا" مازالت صغيرة يا مولاى ومن السهل إقنعها بإنشغال قائد الجيوش بمهام أكبر وأعظم تخص مصير المملكة .

زم الملك شفتيه وعقد جبينه وهو ينظر إلى الفراغ بتركيز ووقف الجميع فى صمت ينتظرون القرار وبعد قليل أومأ برأسه موافقاً وأشار نحو قائد الجيوش آمراً :

- أحضر قائد الرُماة حالاً

****

انزوى الأمير "سيسيان" فى زاوية بعيدة من حديقة القصر بصحبة قائد الحرس الملكى وقائد جيوش المملكة وهو يضحك مشيراً إلى صدر قائد الجيوش قائلاً بسخرية:

- قائد الجيوش والأميرة المُدلـلة

تبادل قائد الجيوش النظرات الغاضبة مع قائد الحرس ثم قال بإنفعال:

- مولاى الأمير الأمر إنتهى فلماذا السخرية

توقف "سيسيان" عن الضحك ونظر إليه نظرة ماكرة وهو يقول:

- أتنكر إننى أنقذتك بإقتراحي

إبتسم قائد الحرس إبتسامة جوفاء وهو يقول :

- لا يا مولاى ومن منا يستطيع إنكار أفكارك النافذة ..

ثم أستدرك بتفكير:

- ولكننا لم نضمن بعد ولاء أمير الرُماة وهذا شىء مُقلق جداً

قطب " سيسيان" جبينه بشدة ونظر إلى قائد الجيوش متسائلاً :

- ماذا؟ .. وكيف له بهذا المنصب الكبير فى الجيش وأنتم لا تثقون فى ولاءه بعد

أجابه قائد الجيوش بإقتضاب:

- متميز... لا يشق له غبار ولم يتفوق عليه أى جندى سواء فى التدريبات العادية أو حتى الحروب التى خضناها منذ إلتحاقه بالجيوش .. رغم صِغَر سنهِ

عقد " سيسيان " كفيه خلف ظهره وسار ببطء قليلاً أمامهما ثم عاد وإلتفت إليهما وهو يشير بسبابته إليهما قائلاً:

- سنترك أمر ولاءه جانباً الان .. الشىء الأهم عندى الان أن يكون مثل زُملاءه الجنود والقاده فى جيوش المملكه .. يُطيع الأوامر بدون تفكير .. أو تردد

****

لا ليست جنية من جنيات الأساطير كما يظنها من يراها من بعيد بين أحواض زهراتها اليانعة بل هى أميرة يافعة فى بستان قصرها الكبير .. بداخلها رغبة قوية تحاول دفعها بشدة حتى لا تنحنى ولو قليلاً لتستطيع إستنشاق شذى الزهور المختلفة الألوان حتى لا تظهر بمظهر الأنثى الرقيقة التى تحب الورود والرياحين .. تريد أن تبقى شامخة كقبة قصرها العالية .. إكتفت بأن تنظر حولها نظرة خاطفة بطرف عينيها ومدت أناملها الصغيرة تتلمس أوراق الزهور فى الخفاء ولكنها توقفت فى الحال عندما سمعت حفيف الحشائش خلفها وشدت قامتها تنظر أمامها فى شموخ تنتظر القادم .. حينها إقتربت منها وصيفتها المقربة ومُربيتها الطيبة " مودة "

.. إقتربت " مودة " أكثر ووقفت غير بعيدة من الأميرة ياسمينا ودون أن تنحنى كعادتها قالت :

- عذراً سمو الأميرة لكن يوجد أمر هام للغاية

أبتسمت " ياسمينا " أبتسامة خفيفة وهى تتفحص قسمات الجدية المشوبة بالقلق البادية على وجه مُربيتها وقالت :

- خيراً يا " مودة " بَشري

توترت " مودة " بعض الشىء وهى تقول :

- ليست بشرى يا سمو الأميرة .. قائد الجيوش خرج فى مهام عظيمه خارج المملكه وهناك شخص آخر سيتولى أمر تدريبك

أنهت " مودة " عبارتها وهى تنظر إلى وجه " ياسمينا " تنتظر من أين ستبدأ أمواج غضبها وكيف ستنتهى .. ولم تنتظر كثيراً .. تحولت " ياسمينا " فى اقل من الثانيه إلى قطة شرسة وضغطت قبضتها بقوة وهى تزم شفتاها وإلتفت إلتفاتة غاضبة وسارت فى إتجاه قاعة الحكم حيث والدها الملك وهى تدهس الحشائش بلا رحمة وبدأت تموجات شعرها المنسدل خلف ظهرها وعلى كتفيها تستجيب لتلك الشحنة الغاضبة فتضرب بعضها بعضا وتنتفض كأن البحر الهادر يسكن طيات شعرها ويتخبط خلف ظهرها فى عنف .. من ذا الذى يجرؤ على مخالفة أوامر سمو الأميرة هل أصبحت ذليلة إلى هذا الحد هل يستهان بها

وبأوامرها ويُضرب بها عرض الحائط بسخرية .. إندفعت فى إتجاه البلاط الملكي والأبواب المغلقة تُفتح أمامها على مصراعيها حتى وقفت أمام والدها وإنحنت بكبرياء وغرور قائلة:

- مولاى الملك .. هناك أمر جلل لابد من مناقشته معك الان

أبتسم الملك لها بحنان جارف وأومأ برأسه مُجيباً :

- هل تقصدى أمر قائد الجيوش .. صحيح ؟

قطبت جبينها ونظرت إليه بتسائل وقالت بعصبية واضحة :

- صحيح يا والدى .. وهذا يؤكد لى إنك على علم بالأمر

نهض الملك من مجلسه وهبطت درجتين ليقف أمامها مباشرة وأحاط كتفيها بذراعه قائلا بأبتسامة حانية :

- حبيبتى إنتى تعلمين مكانتك عندى لكن قائد الجيوش خرج فى أمر عظيم يخص أمن المملكة وأمانها والأمير الذى سيتولى تدريبك لا يشق له غبار

ألتفتت إليه بنظرات متسائلة يتراجع بها الغضب ويخبو قائلة :

- أى أمير يا والدى

قال كمن يقول أمراً معلوماً :

- أمير الرُماة

أبتسمت بسخرية وعادت إليها نبرتها الحادة وهى تقول بإستنكار:

- جندى !! جندى يتولى تدريب الأميرة ؟

أمسك والدها كتفيها وهو ينظر إليها قائلا :

- أمير الرُماة يعنى قائد كتيبة الرُماة .. ليس مجرد جندي

عقدت ذراعيها فوق صدرها تبرماً وأطلت من عينيها نظرة مستنكرة .. حثها والدها على السير بجواره وهو يقول :

- هو فى الحديقة الخلفيه ينتظرك أحتفظى بحماسك دائما

خرجت الأميرة " ياسمينا " بصحبة الملك إلى الحديقة الخلفية حيث ينتظرها هناك .. مُعلمُها الجديد ... " جاسر "

****

الفصل الثانى

خرجت الأميرة " ياسمينا " بصحبة الملك إلى الحديقة الخلفية حيث ينتظرها هناك .. مُعلمُها الجديد ... " جاسر "
سارت بصحبة والدها فوق البساط الأحمر الطويل المؤدى إلى باب الحديقة الخلفية الخاصة وما أن أنتهى مداد البساط حتى بدأت الحديقة بالظهور شيئاً فشيئاً ومن ثم أرتفاع أصوات تغريد البلابل المُلحن فوق شجيرات صغيرة حول بوابة الحديقة وعلى بُعد مسافة قريبة رأته يخلع خوذته المدببة من الأطراف لحماية الوجه وتتلاعب النسمات ببعض خصلاته السوداء وهو يشد قامته

وينظر إليهما وهما يقتربان منه وعينيه السوداوتين العميقتين تتابع تقدمهما فى جمود وشموخ وأنتباه وسيفه الضخم مُعلق فى خاصرته ... حاولت الأميرة " ياسمينا " السيطرة على ملامح الرهبه التى كادت أن تكسو وجهها بمجرد رؤيته بقامته الفارهة وعضلاته البارزه وعرض منكبيه التى تنم فارس حقيقى مضى عمره فى القتال حتى ظنت أنه يقاتل ايضاً فى أحلامه ولكنها لم تستطع منع الدهشة التى ظهرت على وجهها فلقد كانت تظنه أكبر عمراً مما هو عليه .. وبمجرد وقوفهما أمامه أندهشت مرة أخرى عندما لم ينحنى أمامها وأمام والدها الملك وأنما أكتفى بحركه بسيطه من عينيه وهو يقول بصوت رخيم:

- مرحباً سيدى الملك ..

ثم نظر إليها نظرة جعلتها تدفع أحدى قدميها للخلف وكأنه يدفعها بنظراته الحادة وأشار برأسه بخفه للأمام مرحباً بها :

- سمو الأميرة

زاد شعورها بالدهشة فهو لم يستخدم كلمة مولاى كما هو المعتاد عند مخاطبة الملك .. سيطرت على قدمها بصعوبه واعادتها بجوار أختها وهى ترفع رأسها باقصى ما لديها لتذكر نفسها بأنها مولاته وهو جندى فى جيوش مملكة يحكمها والدها بينما قال والدها بترحاب يشوبه التقدير:

- سمعت عنك أشياء مبهرة جدا وشعُرت بالحماس لرؤيتك ..

ثم اشار إلى ملابسه قائلا بابتسامة:

- مثل الحروب والمعارك فى أوقات الفراغ ؟!!

أجاب بإيمائة من رأسه بهدوء وقال :

- نحن فى تدريبات مستمرة يا سيدى ..

ونظر إلى "ياسمينا" قائلا بصوت عميق أخافها:

- والتدريبات مثل الحروب عندى

أبتلعت ريقها بصعوبة وهى تشمخ بذبابة أنفها للأعلى لعلها تستجلب بعض شجاعتها وكبريائها المعهود فى صمت بينما أتسعت أبتسامة الملك المنصور وهو يرفع حاجبيه ويقول مؤكدا:

- قدراتك لا غبار عليها يا قائد الرماة

ثم اشار إلى "ياسمينا " وقال متابعاً:

- لكن أحب أن يصبح تدريب الأميرة " ياسمينا " مجرد تدريب ليس أكثر
ألتفتت إليه "ياسمينا" وقالت على الفور بغرور:
- لا يا والدى .. أسمح لى .. أستطيع القيام بفنون الرجال على أكمل وجه
ونظرت إلى "جاسر" وهى تقول بغطرسة واضحة :
- مهمة الجندى فى تدريبى ليست صعبة للغاية وأعتقد أنها لن تستمر اكثر من
يوم واحد أستطيع خلاله أكتساب المهارة المطلوبه

رمقها "جاسر" بنظرة كالصقر بينما ألتفت إليها والدها بجسده كله وأمسك
كتفيها قائلا:
- لا يا "ياسمينا" لا تستهينى ابدا بفنون أسلحة القتال
وضغط كتفيها برفق وهو يقول منبهاً:
- القائد " جاسر" سيعلمك كل شىء عنها بمهاراته العظيمه
ثم التفت إلى "جاسر" برأسه وقال وهو يشير بسبابته:
- الأميرة فى رعايتك يا "جاسر" أتمنى أن تتم المهمه على أكمل وجه
وأبتسم لهما وأنصرف بهدوء وهو لا يشعر بالعاصفه التى ستتبع أنصرافه
الهادىء .
وضع "جاسر" خوذته أعلى فرع شجرة بجواره وهى تتابعه بعينيها ثم أستدار
فى مواجهتها و عقد ذراعيه فوق صدره وهو يتفحصها ملياً فى صمت وعينيه
باردة كالثلج مما جعلها تتوتر أكثر وهى تنتظر أولى أرشاداته وأخيراً تشجعت
وقالت بصوت أظهر توترها:
- متى سنبدء؟
قال بملامح جامدة وهو يشير إلى ملابسها:
- أزياء الأميرات هذه للأحتفال لا للتدريب على القتال
نظرت إلى ملابسها المبهرجة المرصعة عند الصدر والذيل بفصوص من الذهب
والألماس ثم أعادت النظر إليه باستخفاف قائلة:
- هذه هى ملابس الأميرات
تقدم منها خطوة كبيرة وهو ينظر إليها نظرات حادة مما جعلها تعود ثلاث
خطوات للخلف وهى تنظر إليه بحذر وقلق ثم توقف وقال بنبرة آمره:

- بدلى ملابسك هذه وألحقى بى هنا سأنتظرك
قالت بتحدى :
- لا
أخرج سيفه بهدوء وبطء وقوة فاصدر صريراً عالياً أنتفض له قلبها وهى تنظر إلى نظراته الجامدة وبدون سابق أنذار رفع سيفه فى الهواء وبحركة عكسية ثبت مقدمتة فى الأرض تحت قدميها مباشرة مما جعلها تتراجع للخلف فاشار إلى السيف قائلا:
- أنزعيه
تقدمت من السيف بتحدى وأمسكت بمقبضة وحاولت نزعه من الأرض بكل قوتها ولكنها لم تفلح .. خطفت نظرة إليه لتجده ينظر إليها ساخراً فأعادت المحاولة بكل طاقتها وهى تمسك مقبض السيف بكلتا قبضتيها وتجذب بقوة .. شعرت أن السيف وكأنه هو والأرض قطعة واحدة لم تستطع حتى تحريكه من مكانه وهى تحاول وتحاول بجهد كبير .. توقفت وهى تستند إليه وتتنفس بقوة وصدرها يعلو ويهبط من كثرة الجهد المبذول فتقدم منها بنفس أبتسامته الساخرة وأشار لها بأن تترك مقبض السيف ففعلت وهى تشعر بالخذلان والحنق والضعف أمامه ..أمسك مقبض السيف بقبضته وأنتزعه بخفه أدهشتها ورفعه فى الهواء ووضعه إلى غمده مرة أخرى بنفس الصرير المزعج وأتجه إلى خوذته المعلقة وأخذها ثم ألتفت إليها مشيراً بسبابته:
- الدرس الأول ... أطاعة أوامر المُعلم
وتابع بسخرية:
- الدرس الثانى غداً فى الصباح
وتركها وأنصرف بهدوء وهو تعلو وجهه أبتسامة ساخرة وهى مغلفة بمشاعر الحنق والغضب تجاهه ...
****
دلفت "ياسمينا" إلى حجرتها الواسعة وهى مازالت تحتفظ بمشاعر الغضب بداخلها .. توجهت إليها مُربيتها "مودة" وقد عَلا وجهها أبتسامة صغيرة .. نظرت إليها "ياسمينا" بحنق وهى قادمة من الشرفة وقالت بعصبية شديدة تلعثمت معها عباراتها :

- هل شاهدتِ ما فعل .. لابد أن يُعاقب
وجلست على طرف فراشها حانقة .. جلست "مودة" بجوارها وهى تربط على كفها قائلة:
- "ياسمينا" أتركِ أمور الرجال .. أنتِ أميرة ولكِ شئونك الخاصه
ظهرت الدموع فى عينيها ولم تحاول اخفاء ضعفها هذه المره فهى و"مودة"وحدهما وهى فى الحقيقة ليست مجرد مُربية ووصيفه مقربه وأنما هى حاضنتها وأماً ثانيةً لها ... وضعت "ياسمينا" راسها على كتف "مودة" وتركت الدموع تنساب من عينيها ببساطه وهى تقول بصوت حزين:
- لا استطيع يا "مودة" ... "سيسيان" لن يتركنى أنه يريد التخلص منى وأزاحتى عن طريقة .. أنه يكرهنى بشدة
مسحت "مودة" دمعها وهى تقول مطمئنة:
- أطمأنى لن يستطيع إيذائك ووالدك على قيد الحياة
شردت " ياسمينا " وقالت بحزن:
- وماذا لو وقع له مكروه ؟ وماذا لو قضى أجله ورحل كأمى ..
وألتفتت إليها وقالت بتوتر شديد:
- لو حدث هذا ؟ سأكون وحيدة وضعيفة لن يتركنى وشأنى سيزج بى فى أحد سجون القلاع البعيدة حتى أموت وحيدة
حوطت "مودة" كتفها بحنان وحاولت الذهاب بمجرى الحديث بعيداً وأن تضيف مساراً مرحاً للحديث وهى تقول:
- إذن عليكِ الموافقة على الزواج من الأمير " نـوار " طلبك للزواج أكثر من مرة وأنتِ ترفضينه دائماً
نهضت " ياسمينا " واقفة ونظرت إلى " مودة " متعجبة وهى ترفع حاجبيها للأعلى معترضة:
- " نـوار" !!
ثم ضحكت فجأة بشدة ضحكات رقيقة وهى تقول:
- "نوار" ليث أمام الناس .. هرة مستأنسة أمام " سيسيان"
أغمضت "مودة" عينيها بيأس ثم قالت:
- والحل ؟

شبكت "ياسمينا" أصابعها خلف ظهرها وهى تمشى مشيت الرجال وتقول بتركيز:
- سأتدرب وأتعلم فنون الرجال والقتال وسأكشف مؤامرات " سيسيان " أمام والدى الملك ومُحاولاته فى السيطرة على حُكم المملكه ولن أيأس أبداً ولن أترك أحداً مهما كان أن يسلب منى حقى

****

وفى صباح اليوم التالى كانت فى أنتظاره فى الحديقة الخلفيه بملابس أقل فخامة عن التى كانت ترتديها فى اليوم السابق وعندما رأته قادم من بعيد شدت قامتها ووقفت فى كبرياء وتصنعت التأمل فى بعض أوراق الاشجار التى كانت تقف بالقرب منها ... لم يكن "جاسر" يرتدى حُلة الحرب كما كان فى أول لقاء بينهما .. كان بملابس الفروسيه العاديه التى يرتديها دائما مما أظهر ملامح جسده القوى أكثر .. تقدم نحوها فى بساطه وألقى التحية قائلا:
- صباح الإشراق سمو الأميرة
ألتفتت إليه وكأن الأمر لا يعنيها كثيراً وهى تقول بترفع:
- مرحباً
أقترب وأتكأ بمرفقه إلى جذع الشجرة التى كانت تقف بجوارها وقال وهو يتفحص ملابسها:
- من الواضح أن الدرس الأول ذهب أدراج الرياح
نظرت إلى ملابسها ثم نظرت إليه وقالت بعصبية:
- لقد أبدلت نوعية ملابسى كما طلبت بالأمس
قال وهو يومىء برأسه بتفهم:
- صحيح .. لكنها ايضا لا تناسب التدريب
عقدت ذراعيها فوق صدرها ونظرت للاعلى بضيق شديد ثم أعادت عينيها إليه وقالت بنفاذ صبر:
- ليس لدى ملابس أخرى اقل زينة من هذه الثياب

شبك أصابعه خلف ظهرة ودار حولها تأملها ويمط كلتا شفتيه ثم قال بعدم رضا:
- سأحاول أن أتقبلك بتلك الهيئة هذه المرة .. لكن الدرس القادم سيحتاج إلى تغيير ساحة التدريب كلها ليست نوعية ملابسك فقط
ألتفتت إليه وهى تضيق بين حاجبيها بعدم فهم وهى تقول:
ماذا تعنى بتغيير ساحة التدريب؟ إلى أين سنذهب ؟
فتح ذراعيه على مصراعيهما وهو يقول بابتسامة غامضه:
- مملكتى الخاصه ..

الفصل الثالث

مرت نظراته المتسائلة ببطء بينهما وهما يقفان أمامه ينتظران الموافقه على نقل تدريب الأميرة " ياسمينا " إلى ساحة التدريب الخاصه ببستان القائد " جاسر" الخاص والذى لا يلجه أحداً سواه .. حاول أن يقرأ تعابير وجهيهما حتى يعلم سر هذا الطلب وهذا التحول الغريب فى شخصية أبنته العنيدة ولكنهما مازالا يحتفظان بملامح جامده لا تعبر عن شىء ... نهض واقفاً من فوق عرشه وتقدم منهما بهدوء ثم وقف مواجهاً للقائد " جاسر " قائلاً :
- ماهى الحاجة الملحة التى تستدعى نقل ساحة التدريب إلى حديقتك الخاصة يا أمير الرماة
ثبت " جاسر " عينيه فى عينيى الملك وقال بهدوء :

- أرض بستانى قمت بتجهيزها منذ بداية أختيارى لها لمثل هذا النوع من التدريبات أما أرض بستان القصر زلقه نوعاً ما ومريحه بشكل لا تسمح بأى نوع من أنواع المحاكاة بينها وبين أرض المعارك الحقيقيه

رفع الملك كتفيه مندهشاً وهو يقول :
- ومن يحتاج إلى المحاكاة أنه مجرد تدريب بسيط
وهنا تدخلت " ياسمينا " محتدة :
- من فضلك يا أبى عندما طلبت منك التدرب على فنون السلاح لم يكن لملىء وقت فراغى وأنما اريد هذا حقا وأنا موافقة على نقل ساحة تدريبى وأتمنى أن توافق يا مولاى على ذلك
وضع الملك ذراعه على كتفها وأخذها بعيداً نوعاً ما وهو يقول لها هامساً :
- " ياسمينا " أنتِ فتاة .. ووصف ساحة تدريب القائد " جاسر " قحله جداً بالنسبة لك وفيها صعوبة شديدة عليكِ أنتِ أميرة ومكانك بين الأميرات فقط

أبتعدت عنه خطوة للخلف وهى تنظر إليه باستنكار قائلة :
- أبى أنا لست مجرد أميرة مكانى بين الأميرات ..فلقد أطلعتك على مخاوفى من قبل
أرسل الملك تنهيدة طويلة حانقة ثم قال :
- مخاوفك غير صحيحة بالمرة أخيكِ " سيسيان " يحبك وحريص عليكِ مثلى تماماً وهو يعمل لصالح المملكة بكل جهد وأتقان
عقدت ذراعيها فوق صدرها وهى تقول بعناد :
- أنا مصممة يا والدى
تركها الملك وعاد إلى عرشه المرصع بالذهب والفضة وأتكأ عليه وهو يحك ذقنه بأصابعه وينظر إلى " جاسر " نظرات حادة ثم اشار إليه وهو يقول بتفكير :
- يجب التشاور مع الأمير " سيسيان " فى البداية
قطبت بين حاجبيها بغضب بينما قال " جاسر " بهدوء :
- منتظر رد سيدى الملك

قال كلمته الأخيرة باقتضاب ثم أنصرف على الفور وتركها خلفه تكتوى بنار غضبها فهى تعلم أن والدها لا يستطيع أن يقرر شيئاً ما بدون الرجوع إلى "سيسيان" وأنه هو الحاكم الحقيقى للبلاد بشكل أو بآخر

****

فى اليوم التالى وصل " جاسر " أستدعاء هام للحضور إلى قصر الملك فظن أنه أستدعاه ليبلغه قراره ولكنه لم يكن يعلم أن تلك الدعوه كانت من " سيسيان " شخصياً

حضر " جاسر " إلى القصر وبمجرد دخوله إلى الحديقة لاحظ وجود بعض التجهيزات فى الساحة الأمامية من القصر فنظر إلى الحارس الذى أستقبله عند دخوله إلى القصر وقال متسائلاً:

- ماذا يحدث ؟

قال الحارس بشغف كبير:

- الأمير "سيسيان " أمر بتجهيز الساحه لأقامة مسابقة فى الرماية

أبتسم " جاسر " ساخراً وقد فهم سبب أستدعائه .. لم يكن سبب أستدعائه قبول طلبه أو رفضه وأنما كان للتحقير من شأنه والسخرية منه

أشار الحارس إلى أحد المقاعد فى صدر الساحة فأتجه إليه "جاسر" للجلوس فى إنتظار تلك المسابقة الوهمية وماهى إلا دقائق وخرج الملك تتأبط ذراعه الأميرة "ياسمينا" وخلفهم "سيسيان" ينتصف قائد الحرس وقائد الجيوش وخلفهم بعض الحراس

نهض القائد"جاسر" واقفاً مرحباً وهو يشد قامته معتداً بنفسه وهو يُحي الجميع .. أنتظرت "ياسمينا" أن يفعل "جاسر" كما يفعل الجميع أمام "سيسيان" وان يقدم فروض الطاعة والولاء ولكنه لم يفعل ! ....

فعل كما فعل فى السابق أمام الملك وبنفس حركة العين التى لم تكد تُلاحظ وهو يقول:

- مرحبا سمو الأمير

نظر له "سيسيان" شذراً وهو يتفحصه بينما جلس الملك على عرشه المُعد سلفاً فى الساحه وعن يساره "ياسمينا" فى ترقب شديد

ضيق "سيسيان"عينيه وهو يقترب من "جاسر" متأملاً فى غرور وتحتل ثغره أبتسامة ساخرة :

- أنت أمير الرُماة !

قال "جاسر" بوجه جامد كالصخر:

- نعم .. أنا هو

تقدم قائد الحرس منهما وقال موجهاً أمره للقائد "جاسر" :

- أظهر ولاؤك لسمو الأمير "سيسيان "

أبتسم "جاسر" بجمود وهو يقول :

- أظهرت ولائى بجعل قدراتى الكبيرة فى صالح المملكه لذلك انا أمير الرُماة

أبتسم "سيسيان" ابتسامة عابثة وهو يرفع حاجبيه قائلا:

- مغرور ؟

ثم تابع وهو يهز راسه بخبث:

- سنرى

تركهم القائد" جاسر " وعاد إلى مقعده بهدوء بينما نظر "سيسيان" إلى قائد الحرس بأسف وهو يقول:

- مع الاسف لن نستطيع الأستفادة من مهاراته المزعومة كثيراً

وضع قائد الحرس يده على حسامه وهو فى غمده فاشار له "سيسيان" أن ينتظر نتيجة المسابقة ومن ثم أمر الحرس بوضع وتثبيت الهدف وماهى إلا لحظات وتم وضع وتثبيت الهدف الذى ستجرى عليه المسابقة وسط الساحه تحت نظر عيون المدعوين المترقبة .. وقف "سيسيان" وهو يفتح ذراعيه بحركة مسرحية (فهو ممثل بارع) وقال بصوت جهورى:

- الآن سنرى قدرات قائد أهم قواتنا

نهض "جاسر" بثقة ووقف الإثنان على مسافة مناسبة من الهدف ..

ألتفت "سيسيان" إلى المدعوين جميعاً مُمرراً عينيه بينهم مدققا فاحصاً فى غرور وثقة وكبرياء ثم ضحك بإستهزاء وهو يُخرج من جعبته سهماً سدده بأحكام وتمهل ثم أطلقه فانطلق وأصاب وسط الهدف تماماً فى ضربة موفقة مما جعل الجميع يصفق فى أعجاب شديد ...

وامتقع وجه "ياسمينا" بحزن بينما نظر له "جاسر" بعدم أكتراث ثم هز كتفيه بأستخفاف قائلا:
- ضربة موفقة لا يفوقها إلا...
وتابع وهو يسدد سهماً سريعاً بدون أعتناء :
- إلا سهامى
لم يصب سهم "جاسر" قلب الهدف كما كان يتوقع الحضور بل حاد عنه بمسافة أصبعين .. أنفجر "سيسيان" ضاحكاً وهو وقائد الحرس وقائد الجيوش وبعض المدعوين بينما شعرت "ياسمينا" بالدماء تغلى فى رأسها واصابتها خيبة كبيرة فلقد كانت تلك المسابقة ماهى إلا أشارة إلى موافقة والدها على أنضمامها معه إلى بستان تدريبه الخاص أو مملكته الخاصه كما يحب تسميتها .. لاحظت "ياسمينا" أن " جاسر" لم يتأثر بضحك أخيها ولا بضحك أتباعه وأنما أخرج سمهاً آخر وبنفس السرعه وعدم الاكتراث أطلقه ولقد حاد أيضا السهم الثانى عن قلب الهدف بمقدار اصبعين ايضا ولكن فى الاتجاه المقابل ... زاد الضحك والاستهزاء فى الساحه وزاد أنكماشها فى مقعدها ولكنه لم يكترث ايضاً وأخرج سهمين آخرين وأطلقهم بنفس السرعة .
وهنا أدرك الجميع لُعبة "جاسر" لقد كون مربع متساوى الاضلاع تماماً حول سهم "سيسيان" وكأنه يحاصره والسهم المقبل سيقوم بقتله فأنتبه الجميع بتركيز وسكون شديد وهو يخرج السهم الخامس ولقد كان سهماً مميزا رفيعاً جدا وحاداً جدا .. سدده بعناية كبيرة وأطلقة فى حركة فنيه دائرية رائعة .. أنقض سهم "جاسر" على سهم "سيسيان " من الأعلى فشقه نصفين وأسقطه واستقر مكانه .. فى القلب تماماً ...
ارتفع التصفيق الحاد والهتاف المتواصل لم تتمالك الأميرة نفسها وجدت نفسها تنهض مبتسمة وهى تضم قبضتيها إلى صدرها علامة على السرور والابتهاج والنصر ..
لم يتمالك أيضا الملك أعجابه الشديد وأمر بنيشان وقلده أياه علامة على الإعجاب الشديد له وأقبل المدعوين يهنئونه فى أعجاب شديد ولكن فجأة تحول الهتاف إلى شهيق وذعر حينما أستل قائد الحرس سيفه وأنقض على " جاسر" فى بغض شديد وفى مفاجأة غير متوقعه .. أستدار "جاسر" فى جزء من الثانيه

... وأصطدم النصلان ... فأحدثا صليلاً يرهب القلوب .. تبادلت "ياسمينا" النظرات مع والدها الملك وهى تقول بترقب:
- أبى ؟
مال "سيسيان" بأتجاه والده وهو يقول مطمئناً وينظر نحوهما بخبث:
- مجرد أختبار قدرات يا مولاى
ورغم أن الهجوم كان مباغتاً إلا أن "جاسر" كان متزناً فى جميع حركاته ولم يكن مهاجماً قط .. كان متخذاً موقف المدافع فقط وما كان هذا إلا بسبب حنكته فى اللعب بالسيف فلقد كان يدرس تحركات قائد الحرس وطريقة قتاله وألاعيبه جيداً ويسبر أغواره ليعلم نقاط ضعفه التى سوف يستغلها بشكل مؤثر وقوى لينهى تلك المبارزة سريعاً ..
بدأت اللعبة تحلو له وبدأ يستغل نقاط ضعف غريمه بشكل أضحك الحاضرين عدة مرات مما آثار غضب قائد الحرس وثارت ثورته وبدء فى الهجوم الخبيث القاتل والذى لا يقوم به إلا الصعاليك من الفرسان لكسب جولة خاسرة ..
قام قائد الحرس برفع وشاحه الكبير الذى كان معلقاً خلف ظهره ليلقيه على سيف "جاسر" ليشل حركته وقد عزم على قتله ..
ولكن "جاسر" كان أسرع منه لعلمه مقصده من تلك الحركة الخبيثة فإنتزع النصر فى نفس اللحظة الذى تشتت فيها أنتباه قائد الحرس بين نزعه لوشاحه والطعن بالسيف فلم يشعر إلا وسيفه يطير فى الهواء بعد ضربة قوية والدماء تنزف من أصابعه الجريحة .
ثم ألتفت "جاسر" فى مواجهة الملك قائلا بحدة:
- لم أكن أعلم يا سيدى أنك قد دعوتنى إلى قصرك لتقتلنى
ثم ألتفت إلى قائد الحرس قائلا بغضب:
- لعبة قذرة ... ولكنى إكتفيت بإصابة أصابعك فقط
نهض الملك وهو يتقدم بغضب بإتجاه قائد الحرس وهو يقول موبخاً:
- عار لا يليق بك يا قائد الحرس .. وفى حضرة الملك؟!!
تقدم "سيسيان" وأقترب من والده ووجه حديثه إلى قائد الحرس قائلا وهو يشير إليه بعينيه لكى ينصرف:
- ضمد جرحك يا قائد الحرس

ثم وجه حديثة للملك قائلا :
- مولاي ... لقد كان مجرد إختبار
وقف الملك أمام "جاسر" وقال بأنبهار:
- أبهرتنى براعتك وسمو أخلاقك يا قائد الرماة
و صمت برهة من الوقت ثم قال:
- أنت من الان المسئول عن الأميرة "ياسمينا" .. قم بتدريبها حيث تشاء
****
تحرك موكب الأميرة بأتجاه حديقة القائد "جاسر" وساحة تدريبه الخاصة .. كان الموكب يضم بعض الحراس بالأضافة إلى مُربيتها المقربة "مودة" دعتها "ياسمينا" إلى صحبتها لعلها تحتاج إليها هناك .. وبمجرد وصول عربة الأميرة بين موكبها الفخم اشار لهم "جاسر" بالتوقف عند البوابة باشارة من يده ثم قال بصرامه للحراس:
- الأميرة فقط
نظر الحراس إلى بعضهم البعض تبرماً بينما تقدم "جاسر" من عربة الأميرة وفتح بابها ناظراً إلى "ياسمينا" وهو يقول بجدية:
- أنتِ فقط
جائه صوت "مودة" من الجهة المقابلة داخل العربة وهى تقول بصوت حنون:
- وأنا ؟
ألتفت إليها "جاسر" وقال بأبتسامة عطوفة مُرحبة:
- وأنتِ سيدتى
أمرت "ياسمينا" الحراس بالرحيل ولم يبقى معها إلا جندى واحد ينتظرها فى الخارج بجوار سائق العربة بينما دلفت هي بصحبة مُربيتها وهى تراقب عن كثب كل شىء حولها .. كانت الحديقة مميزة رغم صغر حجمها بالنسبة لحديقة القصر فى بداية الحديقة الارض مُمهدة كما هو حال جميع حدائق القصور وعلى جوانبها أشجار عاليه وكأنها تستخدم كأبراج مراقبه وينتصف الحديقة بركة مياه صغيرة تظللها أشجار الريحان .. عن يمينها يقبع منزل صغير بسيط البناء .. أشار لهما "جاسر" أن يستمرا فى السير ففعلا حتى تعدا البيت وبركة المياه وهنا بدأت الأرض الغير مُمهدة فى الظهور وهنا شعرت "مودة" بألم يغزو

ساقيها فأعتذرت منهما وعادت إلى حيث بركة المياة تنتظرهما تحت اشجار الريحان الرائعة فهى كبيرة فى العمر لا تستطيع أن تتوغل أكثر فى تلك الارض القاحلة ...

ربتت "ياسمينا" على كتفها بحب وتفهم وسمحت لها بعدم مصاحبتها وبعد عودة " مودة" بدأت الأميرة فى رفع ذيل ملابسها لتستطيع رؤية وتخطى العقبات الغير مستوية وبدأت تشعر بصعوبة فى السير ولكن لفت أنتباهها نوع آخر من جذوع الأشجار تم تقليمها تماما وينتصفها حفر لعدة دوائر متداخله من الواضح أن "جاسر" يستخدمها كأهداف تدريبية له على الرماية ويظهر خلفها هضبة صغيرة بعد تخطيها بقليل سور عالى أسفله باب كبير نوعا ما

ألتفتت "ياسمينا" بأتجاه "جاسر" وقالت بعينين متسائلتين:

- ماذا يقبع خلف هذا الباب ؟

قال بعينين براقتين وهو يعقد ذراعيه فوق صدره

- الغابة .. !

الفصل الرابع

ألتفتت "ياسمينا" بأتجاه "جاسر" وقالت بعينين متسائلتين:

- ماذا يقبع خلف هذا الباب ؟

قال بعينين براقتين وهو يعقد ذراعيه فوق صدره

- الغابة .. !

رفعت "ياسمينا" حاجبيها متعجبة وهى تقول بتسائل وفضول:

- وكيف يكون هناك باباً بين الحديقة والغابة ؟

إستدار وهو يشير بأصبعه إلى جذع الشجرة القريب منهم وهو يقول آمراً متجاهلاً سؤالها :

- أتبعينى

هتفت بغضب مفاجىء وهى تشيح بيدها :

- لا تلقى إلى بأوامرك هكذا .. أنا أميرة ولستُ من عامةِ الشعب
لم يلتفت إليها وأنما سار قليلاً حتى وقف أما الجذع المنشود وأخذ جعبة السهام المعلقة على أحد أطرافه المدببه وقام بوضع أحد السهام بداخل القوس وقال بلهجة قاسية أرعبتها :
- تعالى
أبتعلت ريقها بصعوبة بالغة وهى تنظر له نظرات حانقة إلا أنها لم يسعها إلا أن تتقدم بإتجاهه رغماً عنها حتى وقف أمامه مباشرة وقالت بغطرسة متلعثمة :
- أتبعتك فقط من أجل أتمام تدريبى ليس أكثر
ابتسم رغماً عنه أبتسامة خفيفة وناولها القوس فأخذته وهى تنظر له تتفحص السهم والقوس الذى يحويه والذى أظهر مدى ضعف قبضتها وصغر حجمها .. لم يبالى "جاسر" بمحاولاتها لأكتشاف الطريقة الصحيحة للإمساك بالقوس وجذبها من ذراعها وأوقفها أمامه مباشرة ولف ذراعيه ليحيط بمرفقيها لكى يثبتها بشكل صحيح أمام الهدف مما أظهر الفرق الواضح فى الطول بينهما وضآلة حجمها أمامه وأنكماش جسدها بين ذراعيه وأنحنى قليلاً للأمام ليحدثها مما جعل ذقنه تلامس رأسها ومما جعلها تضطرب وتنزع نفسها من مكانها .. أبتعدت خطوة للأمام وقالت بتردد وقد سبحت وجنتيها الخمرية فى بحر من حُمرة الخجل :
- من فضلك ابتعد قليلاً
صمت قليلاً وقد أحتفظ بملامح جامدة لا تعبر عن شىء ثم قال ببطء :
- لماذا ؟
أنصرفت بوجهها فى الأتجاه الآخر وهى تفرك قبضتيها متوترةً ثم قالت:
- من فضلك .
أستدرج وهو يحتفظ بجمود ملامحه ويتفحص توترها:
- هذا مجرد تدريب وليس غزل عاطفى
لم تجبه ولم تنظر إليه فتقدم منها خطوة مما جعلها تعود بوجهها إليه وتنظر بعينين مترقبتين فجذبها من ذراعها بصمت وأوقفها أمامه مرة أخرى وأحاط ذراعيها كما فعل من قبل ولكنه حرص هذه المرة على خلق مساحة معقولة بين جسديهما ... شعرت "ياسمينا" بشىء من الراحه أكثر وقالت مستوضحة :

- المسافه بينى وبين الهدف قريبة جدا
أنحنى قليلاً للأمام قائلاً:
- لأنك مبتدئة ... والآن ضعى الهدف نصب عينيكِ البنيتين وأجذبِ السهم إليكِ بقوة
ألتفتت إليه وقد تعجبت منه لذكره لون عينيها فى تلك اللحظة فقال بحسم دون أن يلتفت لها :
- أنظرى للهدف فقط
أعادت وجهها للأمام مرة أخرى سريعاً وحاولت شد القوس بكل قوتها .. لم تستطع إلا جذبه قليلاً وأطلقته فطار قليلاً فى الهواء وسقط على الارض على بُعد خطوات منها
****
نهض "نوار" وهم بأن يتحدث بغضب لولا أن أمسك لسانه فى اللحظه الأخيرة متذكراً أنه يقف أمام "سيسيان" الذى لا يرحم وأبتلع ريقه وهو ينظر لأسفل ليهدء من نبرة صوته ويختار كلمات لا تُغضب " سيسيان " منه ثم بدا هادئاً وهو يقول بأدب جم:
- سمو الأمير أسمح لى .. أعتقد أن وجود الأميرة "ياسمينا" مع رجل متوحش مثل "جاسر" شىء خطير جدا
أبتسم "سيسيان" هازئاً وهو يكرر:
- متوحش ؟
أشار "نوار" إلى يوم المسابقة فى قوله:
- مولاى لقد كان متوحش جدا فى ساحة القصر يوم ...
قاطعه "سيسيان" بغضب وهو يصرخ فيه :
- المسابقه كانت مجرد أختبار .. لا أحد يستطيع هزيمتى ابدا
أنكمش " نوار " مكانه وتلعثم وهو يحاول تهدئة الأمر بينما نهض قائد الحرس وتقدم بجوار "نوار" ووضع يده على كتفه وقال بمكر:
- صديقنا الأمير "نوار" لا تقلق .. مستقبلك فى المملكه مضمون أنت صديق مطيع وسمو الأمير "سيسيان" يحب الطاعة فى تصرفات أتباعه
هز "نوار" رأسه سريعا وهو يقول مؤكداً:

- طبعاً .. طبعاً
لمعت عينيى "سيسيان" بخبث واستدار فى مواجهة " نوار" وقال :
- " نوار" ... أنت ووالدك مشهورين فى المملكه بالخلق الجم وسمو الروح والتطلع إلى مجد السماء أكثر من رغبات الأرض .. صحيح؟
أومأ "نوار" برأسه مؤكدا وهو يقول:
- صحيح يا سمو الأمير
تابع "سيسيان" وهو يسير بإتجاهه ويضع كفه على كتفه الآخر ويقول:
- وأنت ترى أن أنفراد الأميرة "ياسمينا" بجندى فى حديقته الخاصه وبأمر من الملك المنصور شىء غريب يثير الأشمئزاز فى نفوس أصحاب الأخلاق مثلكم ... صحيح ؟
صمت "نوار" وقد أيقن أن "سيسيان" يريد منه شىء ما لا يريد الأفصاح عنه بشكل واضح .. ألتفت "سيسيان" ينظر فى عينيى "نوار" نظرة آمرةً وهو يقول:
- بالتأكيد عندما تتكلم بين عامة الشعب وتحكى لهم مخاوفك سيشعرون بنفس أشمئزازك لما يحدث
ثم مال برأسه يساراً وهو يتابع بخبث:
- وبالتأكيد ستحصل على أحترام وتأييد كبير لك ولأسرتك بين شعب المملكة
تبادل "سيسيان" النظرات مع قائد الحرس بينما أيقن "نوار" أن "سيسيان" يعتمد على سمعته ووالده وأسرتهم من النبلاء وثقة الناس برقى أخلاقهم وتطلعهم إلى مجد السماء أكثر من مجد الأرض ويأمره بشكل غير مباشر بأن يمشى بين عامة الشعب بالتحدث فى خلق الأميرة "ياسمينا" وقائد الرماة " جاسر" وتقليب الناس عليهم وأثارتهم ضدهم لم يكن أمام "نوار" فى تلك اللحظة سوى الموافقة الضمنية على خطة "سيسيان" فهو كان يطمح فى أن يتزوج من الأميرة "ياسمينا" الجميلة ولكن من الواضح أن الأمر بات صعباً للغايه نظراً لرفضها الدائم له بجانب تطلعها إلى فنون الحرب والنزال وظهور "جاسر" (المتوحش) المفاجىء فى حياتها ... فلماذا يخسر كل شىء لماذا لا يطيع "سيسيان" فى كل ما يأمر به لعله يفوز بشىء من السُلطة التى كان يتطلع إليها بجوار أميرة حسناء وإن كانت تبغضه .

****
نظر" جاسر" إلى السهم المُلقى على الأرض ثم نظر لها بغضب قائلا:
- لقد قلت أجذبِ السهم فقط .. ولم آمرك بأطلاقه
رفعت رأسها إليه ومالت برأسها يمينا فأنحدرت غرتها إلى اليمين مع أمالت رأسها ونظرت إليه بشك وهى تقول:
- وما الفرق ؟
زفر بقوة وهو يضع يديه فى خاصرته قائلا:
- فرق كبير جدا ..
ثم اشار إلى السهم وقال بشكل روتينى :
- خذى السهم والقوس وتحسسيهم جيدا .. لابد أن تشعرى بتفاصيلهم بين ايديكِ .. من المفيد أن تتكون علاقة بينك وبين سلاحك
وهم بالأنصراف فنادته ليتوقف وهى تقول :
- إلى أين ؟
قال دون أن يلتفت :
- أفعلى ما أمرتك به
وقفت "ياسمينا" فى حيرة من أمرها وهى توزع ظراتها بين القوس فى يديها والحديقة من حولها لا تعرف ماذا تفعل كيف تتكون علاقة بين المتدرب وسلاحه .. تناولت السهم من فوق الارض فى سرعه وبدأت تنظر إليه بتأمل شديد وهى تمرر أصابعها الصغيرة عليه تتحسسه كما أمرها شعرت .. بنعومته المغلفه بالقسوة والحدة ورأسه المدبب الذى صُمم خصيصاً ليقتل .. وهنا هاجمتها خاطرة قوية .. حتى وإن تعلمت فن الرماية والنزال وأتقنتها هل سيأتى يوم من الايام ستضطر فيه إلى قتل أحدهم .. هل ستجروء على سفك الدماء حتى وإن كان دفاعاً عن نفسها وحياتها ومكانتها الخاصه .. بين يديها القوة والسلاح ولكن فكرة سفك دماء أنسان كانت شديدة عليها جدا جعلتها تتردد وتفكر فى العودة .. ونسيت أو خبرتها الضعيفه جعلتها تتناسى أمراً هاماً ..أن القوة ليست دائما لسفك الدماء وأنما خُلقت القوة ايضاً للدفاع عن الابرياء ومنع سفك دمائهم ... أخرجها "جاسر" من تشتتها وهو يقول عائداً :
- ماذا تفعلين ؟

ألتفتت إليه متفاجأة مما سمح له أن يرى الحيرة والتشتت فى عينيها وحركات جسدها ورأسها المترددة فقال وهو يقترب منها :
- سنعيد التدريب للمرة الثانية تانى وهذه المرة لا تفعلى شيئاً بدون أمر مني
رفعت راسها بعصبية وقالت بتكبر:
- لا تتحدث إلى هكذا أنا هنا الأميرة
جذبها من رسغها وسار بها بقوة بأتجاه السور العالى وهى تعدو خلفه وهى تتملص منه ولا تستطيع اللحاق به وهو يسحبها خلفه وأخيراً دفعها بأتجاه الباب اسفل السور والذى يفصل بين الحديقة والغابه وترك يدها .. أمسكت رسغها بألم وهى تنظر إليه برهبة وهو يقول:
- للمرة الأخيرة اسمح لكِ بالتحدث معى هكذا .. أنتِ هنا فى مملكتى الخاصه ..

وأشار إلى الباب وهو يقول محذرا:
- إما أن تطيعى الأوامر وإما أن تخرجى بلا عودة
دفعته بعيداً أو هكذا ظنت انها تدفعه فهو لم يتحرك على اثر دفعتها وخطت خطوات سريعه اقرب إلى العدو بأتجاه مربيتها " مودة " وما أن مرت بها فى ثورتها الغاضبه التى جعلت مرورها كالعاصفه وقالت بغضب :
- أتبعينى ..
ألقت "مودة" نظرة على المكان "جاسر" الذى كان يتقدم نحوها بجمود وببطء ثم أنصرفت خلف "ياسمينا" على الفور
****

الفصل الخامس

ألقت "مودة" نظرة على المكان "جاسر" الذى كان يتقدم نحوها بجمود وببطء ثم أنصرفت خلف "ياسمينا" على الفور .. وما أن أختفى أثرهما من أمامه حتى مد يده خلف ظهره وأخرج رسالة كان يضعها فى جعبة سهامه وفض الشريط الحريري الذى كان يحيط بها وفتحها ومرر عينيه بين سطورها وقد أتسعت أبتسامته بحب وأهتمام .

تناولت "مودة" كف "ياسمينا" وضاقت حدقتيها وهى تنظر بتعجب إلى معصمها وعلامات الاحمرار المرسومه حوله .. جذبت "ياسمينا" يدها بعنف منها وظلت تفرك بها بعصبية شديدة وقد أحتقن وجهها بشدة وقالت وهى تضغط أسنانها بغضب:

- مجنون ..!

هزت "مودة" راسها بعدم رضا وهى تبتعد وتغلق أستار الشرفة وقبل أن تستدير سمعت "ياسمينا" تهتف بحنق:

- "مودة" أطلُبى الخيـاط فورا ..!!

****

أجتمع "سيسيان" بأمراء المملكه ومسؤليها ليبحث معهم أحوال الرعية بدون حضور الملك وأستمع إليهم وإلى ما يحدث وما يتكلم الناس به بالمملكة وماهى شكواهم المتعاقبة والمتوالية والتى تثير جدلا واسعا بينهم فقال أحدهم :

- المياه والخبز والشموع يا سمو الأمير

بينما قال آخر:

- أرتفاع الاثمان فى الأسواق يا مولاى
وقال ثالث:
- كثُر الشحاذين والبطالين فى المدينة يا مولاى وأمتهن بعضهم السرقة وقطع الطرق على الناس

حك "سيسيان" ذيله ..أقصد ذقنه وقال بإبتسامة ماكرة :
- تم رفع الشكاوى إلى الملك ولكن .. لم يبدى أى أهتمام
سارت الهمهمات بين البعض والصمت الحانق بين البعض الآخر
وضع "سيسيان" قبضته على المائدة فى علامة على أنتهاء الاجتماع فنهض الجميع وهم ينحنون خوفا إتقاءاً لشره
وما أن أنصرف الجميع حتى مال قائد الجيوش للأمام وهو ينظر إلى "سيسيان" بأعجاب قائلا:
- أرى روح "سيسيان" القائد الأكبر تطوف حولك يا سمو الأمير .. أنت على خطاه تماماً
أنتفخت أوداج "سيسيان" وأنتفش أعجابا وزهواً بنفسه وبإطراء قائد جيوشه عليه وتشبيه بقائد الجيوش والحاكم الأسبق للمملكه "سيسيان الأكبر" ثم ضاقت عينيه بخبث وهو يشير بيده موجهاً حديثه وتعليماته لـ قائد الجيوش قائلا:
- أصدر أمر لرجالنا بسحب كمية أخرى أكبر وأكثر من السلع والشموع من الأسواق وأرسل إلى رجالنا من التجار بأمر مباشر مني بأن يرفعوا الأسعار أكثر ...
أحنى قائد الجيوش رأسه موافقاً بيما تابع "سيسيان" قائلاً :
- وبعد أن يبدء الناس فى الشكوى والضجيج والسخط أصدر أمر لجنودك بأن يخرجوا ما لدينا فى المخازن ويقوموا بتوزيعه على الناس بدون مقابل قائلين بأنها هدايا الأمير" سيسيان " الطيب
وأبتسم ابتسامة خبيثة وهو يردف:

- مع خالص حبى ..!
****
شرع "جاسر" فى أنهاء صنع قلادة الريحان التى أنشغل بها كثيراً وكأنها شغله الشاغل بجوار اشجار الريحان .. ولكنه استرعى أنتباهه صوت صهيل قادم نحوه رفع رأسه ينظر فإذا بجواد أمهر ناصع البياض قادم نحوه برشاقه وهدوء ...
وقف "جاسر" محدقاً فيه هو و فارسه وهو يقترب منهما ... إتسعت عيناه متعجباً وهو يرى "ياسمينا" وهى تترجل من فوقه فى حلتها الجديدة .. ترتدى ملابس الفرسان ولكن بما يناسبها كأنثى وتربط وشاحاً خلف ظهرها منزلقاً على أحد كتفيها وتعقص شعرها للخلف ساجنة تموجاته الثائرة بين قضبان طوقها المميز ..
ترجلت "ياسمينا" ووقفت امامه بثقة وعلى ثغرها أبتسامة نصر فلأول مرة تستطيع أن تنتزع منه علامات التعجب وتظهرها على وجهه رغماً عنه وتجعله يتخلى عن ملامح الجمود المسيطرة عليه دائما معها ..
وأخيراً نطق بما يعتمل داخله من دهشة متسائلاً :
- الأميرة "ياسمينا" ؟ !!
أبتسمت وهى تتجه إليه خطوة وتقول:
- الفارسة " ياسمينا"
عقد ذراعيه أمام صدره وهو يتأملها وقد بدء يستوعب التغير الذى طرأ عليها قائلا:
- اصبحتى مستعدة للتدريب ..
استدار بابتسامة وهو يشير لها بيده قائلا :
- أتبعينى
تبعته وهى تظر إلى قبضته والتى يتدلى منها عقد الريحان وتتمتم بصوت خفيض:
- هل أنت قائد الرماة أم عاشق

يبدو أنه سمعها فأجاب قائلا:
- لا مانع أن يكون العاشق قائداً أو القائد عاشقاً
تنحنت بإحراج واحمرت وجنتاها خجلا وهى تتبعه بصمت
وصل إلى نفس الجذع الذي كان يدربها عليه في المرة السابقة ... ثم أشار إليها أن تأخذ وضع الإستعداد وهو يناولها القوس والسهم...
فأمسكت بهما وهي تتحاشى النظر إليه ووقفت في وضع الإستعداد وهي تمسك بالقوس بكل قوتها وسمعته يقول لها آمرا :
- إجذبي السهم بقوة .. ركزي عينيكٍ على الهدف ،
فجذبته بكل قوتها وهي تحبس أنفاسها كمن يستعد للقفز في المياه العميقة .. وضاقت حدقتاها وهي تنظر للهدف بتركيز.
فانتظر جاسر لحظات ينظر إليها بإختبار هل ستطلق السهم دون أمر منه كما في المرة السابقة أم لا .. أبتسم حين وجدها منتظرة أمره بإطلاق السهم وقال بجدية :
- الآن
فتحرر السهم من بين أصابعها منطلقا نحو الهدف على اثر كلمته ، فاستقر على بُعد أربعة أصابع يمين الهدف ، أرسلت ظفراتها بيأس وهى تشعر بالإحباط ولكنها إستدارت ناظرة إليه بتعجب حينما سمعته يصفق بكفيه قائلا :
- رائعة
نظرت إليه بشك وهي تظن للوهلة الأولى أنه يسخر منها .
ولكنها وجدت علامات الإعجاب بادية على قسمات وجهه فقالت متوترة :
- حقيقي!!
فأومأ برأسه مؤكدا وهو يبثها الثقة في رميتها قائلا :
- حقيقي رائعة كمبتدئة
فابتسمت بسعادة وهى تضم قبضتها إلى صدرها كما تفعل دائما عندما تشعر بالسعادة وشعرت بالإصرار يسري بداخلها وهتفت بتلقائية:

- اشكرك
أبتسم وهو يأخذها إلى جذع آخر أكبر من أخيه وثبت الهدف أعلاه مما جعلها ترفع رأسها تجاهه بأضطراب وهى تقارن طولها بطول الجذع المرتفع فألتفت إليها وهو يقول بجدية:
- صوبى السهم
أبتلعت ريقها بصعوبة وهى ترفع يديها للأعلى و تصوب سهمها من جديد فاقترب منها ورفع يديها للأعلى قليلا وقال :
- أجذبى
كما فعلت فى السابق جذبت السهم بقوة وحبست أنفاسها بصدرها تنتظر أمره بالاطلاق .. أمرها وأطلقت واستقر السهم اسفل الهدف بقليل فتهتف بفرحه :
- نعم .. نعم .. نعم
أبتسم وهو يرى سعادتها التى تتجلى واضحة عليها كالأطفال وقال مشاكساً :
- لا تغترى بنفسك أيتها الفارسة .. الغرور أول مسمار فى نعش النجاح
شعرت بالإنتشاء والتحدى وهى تتناول سهماً آخر وبداخلها إصرار على النجاح .. بدأت الشمس فى الغروب سريعاً ورغم الإرهاق التى كانت تشعر به إلا أن نشوتها جعلتها تتناسى الألم الذى بدء يدب فى أوصال ذراعيها وكتفيها وأصابعها لاحظ "جاسر" أنها بدأت تقبض قبضتها وتبسطها مراراً وتكراراً فأيقن أنها تؤلمها بشدة فقال وهو يوليها ظهره بلامبالاة:
- نكمل غداً
فزفرت بارتياح وهى تتوجه بإتجاه جوادها بينما سار هو بجوارها ولكنه توقف فجأة مما جعلها تتوقف ناظرة إليه فأخرج عقد الريحان الذى صنعه قبل مجيئها وأمسك معصمها وجعل يلف العقد حوله وهو يقول مشاكساً :
- حسناً .. لقد زال أحمرار معصمك تماماً

ولكنها لم تسمع عبارته بل ظلت صامتة وهى تنظر للعقد حول معصمها .. قطع "جاسر" سيل أفكرها وهو يشير بأصبعه بمرح نافيا وهو يقول:
- لالا ... ليس لكى .. أنه للسيدة " مودة"
رفعت رأسها له وقد أنتشلها من أفكارها المتخبطة وقالت بدون وعى:
- ولكنها أكبر منك بكثير
ضحك ضحكة عاليه وهو يقول بمرح:
- لا تلومينى .. القلب وما يهوى
عقدت حاجبيها وخطت بعصبية وتوتر وهى تتابع طريقها .
أما هو فقد عقد كفيه خلف ظهره ويمشى خلفها بتؤده .. توقفت فجأة و ألتفتت إليه وقالت بأضطراب:
- لماذا لم تسألنى عن سبب عودتى اليوم بعد ما فعلته معى فى المرة السابقة
أبتسم بثقة وهو يجيبها:
- لأنى كنت متأكد أنكِ ستعودى
رفعت حاجبيها بدهشة وقالت:
- كلامك مغلف بثقة كبيرة لا أعرف مصدرها
قال بحبور واضح :
- مصدرى هو أحساسى
تنهدت بعدم فهم وهى ترفع كتفيها وتخفضهما بتساؤل وقبل أن تتحدث لاحظت غياب مُهرتها عن المكان التى كانت قد تركتها فيه .. ألتفتت إليه قائلة :
- أين مُهرتى .. تركتها هنا
ألتفت "جاسر" تجاه بيته وأطلق صفيراً طويلاً منغماً وبعد لحظات سمعت "ياسمينا" صهيلاً قوياً عالياً وظهر جواداً أسوداً قوياً يسرع نحو "جاسر" فى طاعة وتتبعه مُهرتها البيضاء فى طاعة أكبر .. ربت

"جاسر" على رأس حصانه الأدهم ونظر إلى "ياسمينا" وهو يشير إليه قائلا:
- اقدم لكى صديقى "جسور"
أبتسمت مندهشة وهى تعقب متسائلة:
- "جسور"
وتقدمت بأتجاه مُهرتها وهى تربت على راسها وتتحسسها برفق وتحدثها بعتاب قائلة:
- اين كنتى يا "عنان "
أُعجب " جاسر" بأسم مُهرتها ولكنه لم يعقب .. بل عاد إليه جموده وهو يقول بجدية:
- أنطلقى قبل أن يحل الظلام
أعتلت "ياسمينا" صهوة جوادها وتقدم "جاسر" منهما وقال وهو يمسح على رأس فرستها بحنان ويخرج قطع من السكر ويطعمها اياها فى فمها بحنو ثم رفع راسه نحو "ياسمينا" قائلا:
- المرة القادمة سأصنع لكى أختبار بسيط وإن إجتزتيه ببراعه فسوف أجعلك تطلقين السهام وأنتى فوق تلك الحسناء
أتسعت عيناها بخوف وقالت بارتباك:
- مستحيل !!
تقدم منها وأمسك كفها بداخل قبضته فمالت للأمام بإتجاهه وثبت عينيه فى عينيها واضعاً قبضته الأخرى على صدره مشيراً إلى نفسه وهويقول بثقة وبطء:
- ثقى فى نفسك .. أنتى مع "جاسر" ..
تجمد المشهد للحظات بينما توجه "جسور" بأتجاه " عنان" يداعب رأسها برأسه بحنان ويعدها بلقاء آخر قريب .. فلقد أعجبته !

الفصل السادس

حاولت " ياسمينا" أقتياد مُهرتها "عنان" خارج حديقة "جاسر" مراراً وتكراراً ولكن "عنان" كانت تسير خطوات قليلة وتقف وتصهل بقوة رافضةً العودة كارهةً للقيود راغبةً فى البقاء ... أبتسم " جاسر" وهو يعتلى صهوة جوادة ويسير بأتجاه "ياسمينا" وربت على رأس "عنان" مهدئاً قائلا بتعاطف كبير :

- أهدئى أيتها المتهوره سيصحبك "جسور" حتى باب القصر

بدأت "عنان" فى الاستسلام للسرج بينما نظرة "ياسمينا" إليه متسائلة:

- هل ارتبطت به إلى هذا الحد ؟!

أومأ برأسه قائلاً بثقة وهو يتفرس فى ملامحها:

- وهو ايضاً لا يريد فراقها

أنطلقا الحبيبان "جسور" و "عنان" بأتجاه القصر مستمتعان بالرفقة والصهيل الهامس ! ... وبعد أن قطعا نصف الطريق تقريباً لاحظا تجمع بعض الناس مكونين ما يشبه دائرة كبيرة يتوسطها مُهرج يقوم بإضحاكهم بحركات بهلوانية ولكن كل هذا كان مألوف بالنسبة لـ"ياسمينا" ولكن الذى لفت إنتباهها توقف هذا المهرج عن فعل حركاته البهلوانيه فجأة وأخرج من حقيبته الخشبيه ملابس ملكيه تشبه ملابس الملك المنصور وقام بإرتدائها وسط ضحكات الناس وهمزاتهم ولمزاتهم وبدء المُهرج فى القايم بتقليد والدها ..

مشيته وحركاته وطريقة حديثه وطريقة تلويحه بيده ولكن بشكل مبالغ مما جعل الناس تتمايل على بعضها البعض من فرط ضحكاتهم وكأنهم سكارى .. شعرت "ياسمينا" بالإستياء والغيظ وإلتفتت إلى "جاسر" بعصبية وقالت بأنفعال:

- كيف يحدث ذلك فى المدينة .. لابد أن يتم القبض على هؤلاء جميعاً

لم يجيبها وظل ناظراً أمامه بأتجاه المهرج فى هدوء شارداً ولسان حاله يقول:
- ما داموا قد أطلقوا عليه المهرجين والحثالة وسخروا منه فهى إذن بداية النهاية .. الأيام دُول يا جلالة الملك
ولكز "جسور" بخفة فى بطنه فبدء فى التحرك على مهل وتبعته "عنان" وما أجتازوا حلقة المُهرج حتى هتفت "ياسمينا" بضيق:
- سأبلغ أبى بما رأيت وسأرفع الأمر إلى القاضى
أبتسم ولم يُعقب مما أغضبها قائلة :
- ألم تسمعنى ؟
قال دون أن ينظر إليها ببرود :
- فى يوم من الأيام كان هناك حاكماً آخر للبلاد .. سخر منه المهرجين والحثالة ايضاً وعندما رفع الأمر إلى القاضى قال أنها حرية التعبير وأنها نوع من أنواع الفن لا يجوز الحجر عليه
ثم ألقى نظرة خاطفة إليها وعاد لينظر أمامه من جديد قائلا:
- هل تعلمين من هو القاضى آن ذاك
ودون أن ينتظر أجابتها قال بصوت عميق:
- كان والدك
رفعت حاجبيها بدهشة كبيره وهتفت بأستكار:
- والدى كان قاضى .. كيف ذلك .. مستحيل !!
لم يعرها أهتماماً مرة أخرى وقال وهو يتحرك فى الإتجاه المعاكس :
- سأنتظرك .. لا تتأخرى كثيراً
كانوا قد اشرفوا على أبواب القصر .. أنطلق "جاسر" عائداً إلى حديقته وتقدم حراس القصر وأمسكوا بسراج "عنان" وإقتادوها بقوة إلى الداخل فلقد كانت تريد العودة وتتبع اثر "جسور" ... دلفت "ياسمينا" إلى مخدعها و"مودة" تتبعها فى قلق شديد وهى تنظر إلى ملامحها الشاردة المضطربة ..

ساعدتها "مودة" فى تبديل ملابسها لتعود "ياسمينا" أميرة بملابس الأميرات الخاصة المرصعة بالألماس واسدلت شعرها وهى تقول بملامح متسائلة متعجبة:

- "مودة" هل كان والدى قاضياً حقاً ؟

عقدت "مودة" حاجبيها قلقاً وأضطراباً فلقد كان السؤال مفاجاً لها وقالت بتردد وبطء:

- من أخبرك؟

زفرت "ياسمينا" بقوة وقالت بنفاذ صبر:

- "مودة" أجيبينى

أطرقت "مودة" براسها وقالت متلعثمة:

- نعم كان قاضياً

تقلصت ملامح "ياسمينا" وقالت باستنكار:

- ألم يكن والدى أميراً ثم أصبح ملكاً ؟!

هزت "مودة" راسها نفياً وهى تقول :

- لا

نظرت إليها "ياسمينا" ملياً وهى تقول بترقب:

- وكيف أصبح ملكاً أذن

صمتت "مودة" ولم تجب وملامحها تعلن أنها لم تفصح عن أكثر مما قالت فأستطردت "ياسمينا" بتسائل أكبر:

- هل أمره الحاكم السابق وارغمه على تولى أمور المملكة ؟

هزت "مودة" رأسها نفيا مرة أخرى وهى تنصرف بسرعة وتغادر مخدع الأميرة قبل أن توجه إليها المزيد من الأسئلة البديهية فى هذا الشأن وتركت "ياسمينا" وحيدة تعصفها الافكار وتقذف بها على شاطىء البلاهة والغربة فلقد كانت تتصور أنها تعلم كل شىء عن والدها ومملكتها ولكنها اكتشفت أنها كانت بلهاء فهى لا تعلم حتى .. كيف أصبح

والدها حاكماً .. ولكنها شعرت أن الأمر له علاقة ما بـ "سيسيان" ولكن "سيسيان" كان صغيراً آن ذاك فكيف ذلك ؟ !!

****

وقف "جاسر" بين صفوف جنود كتيبته التى هو قائدها... كتيبة الرُماة... وهو يعطى التعليمات أثناء تدريبهم والشمس تلقى باشعتها الحارقة بينهم دون أكتراث لحرارتها العالية .. تقدم أحد الجنود وأخترق الصفوف حتى أقترب من "جاسر" على مهل وأنحنى بأدب وهو يقول :

- قائد الجيوش يطلب حضورك الآن سيدى القائد

أومأ "جاسر" برأسة موافقاً وقال وهو يلتفت لجنوده :

- سأنتهى من التدريب وأذهب إليه

أضطربت ملامح الجندى وقال بارتباك:

- معذرةً سيدى القائد ولكنه يطلبك حالاً

حدق به "جاسر" ملياً وهو يفكر فى تلك العجلة التى يطلبه بها قائد الجيوش وأنبأه حدثه أن الأمر جد خطير فأشار لجنود كتيبته أن يتابعوا التدريبات وأنصرف إلى لقاء قائد الجيوش يتبعه الجندى بأدب ورهبة

دخل "جاسر" حجرة الأجتماعات الكبيرة والتى يجتمع فيها القادة لمناقشة أمور الحرب واستعدادتها والتى يتوسطها طاولة مستديرة الشكل كبيرة يلتف حولها عدة مقاعد يحتل كل قائد كتيبة مقعد منها بينما يتوسطهم قائد الجيوش ومن الواضح أنها كانت مناقشة هامة جدا تدور بينهم .. ظهر ذلك لـ"جاسر" جلياً وخصيصاً عندما أشار له قائد الجيوش بجدية شديدة بأن يتخذ أحدى المقاعد والذى كان قبالته مباشرة ... أتخذ "جاسر" المقعد له مجلساً وهو يتفرس فى ملامح الجميع بترقب وحذر .. وضع قائد الجيوش مرفقية على الطاولة أمامه وأستند إليهما وهو يجدل أصابع كفيه فى بعضهما البعض ناظراً إليه بعينين حادتين قائلاً بشكل مباشر وبصرامة :

- لقد أجتمعنا اليوم من أجل تجديد ولائنا للأمير "سيسيان " والقسم على نصرته .. وأنت يا قائد الرماة لم تقدم ولاءك للأمير من قبل وها قد حانت الفرصة أمامك فما هو رأيك ؟

أيقن "جاسر" بأن النهاية قد حانت وأنه لا طريق للمواربة بعد الآن فقد سُدت كل الطرق إليها .. نظر فى وجوه الجميع بعينين حادتين كالصقر وهو يحاول أن يقرا وجوههم ليعلم من يوافق ومن يرفض فوجد الموافقة والخنوع فى عيون الجميع .. قرر "جاسر" أن يدير الجلسة بطريقته الخاصة وهو يتكأ بقبضته على مقبض سيفه المعلق فى خاصرته وهو يستند بظهره بشموخ إلى ظهر المقعد موجهاً سؤالاً للجميع لخصه فى كلمة واحدة :

- والملك ؟!!

نظر الجميع إلى بعضهما البعض ما بين غاضب ومنافق وخانع وسارت همهمات خفيضة فى القاعة بيما قال قائد الجيوش بعصبية غلفها التوتر:

- الأمير "سيسيان" هو ملك المستقبل

رفع "جاسر" كتفيه متصنعاً الدهشة وهو يتساءل مرة أخرى:

- وكيف ذلك والملك المنصور لازال حياً

قاطعه أحد القادة بضربة على الطاولة بقبضته وهو يقول بغضب:

- الأمير"سيسيان" هو من يحكم المملكة أيها القائد ولا حاجة لنا بالملك بعد اليوم

أوقفه قائد الجيوش باشارة من يده ونظرة صارمة ثم إلتفت إلى "جاسر" قائلا بنبرة يغلفها الهدوء :

- الملك سيتنازل للأمير "سيسيان" عن الحكم

ابتسم "جاسر" ساخراً وقال ببرود:

- أذن سأعطيه ولائى وولاء كتيبتى بعد أن يتوج ملكاً ويجلس على العرش بالفعل

صارت همهمات أخرى غاضبة وزفرات حارة من بعض القادة الذين أُجبروا على ذلك من قبل وشعروا أن "جاسر" ينطق بما ارادوه ولكنهم لا يملكون شجاعته تلك فى البوح بمكنون صدروهم .. توقفت تلك الهمهات فى الحال عندما هتف قائد الجيوش قائلا:

- هذا أمر أيها القائد أُريد قسمك على نصرة الأمير وحمايته وإعلان ولاءك له الآن وعلى الفور أنت وكتيبتك كاملة ...

ظن الجميع أن "جاسر" سيستسلم أمام لهجة قائد الجيوش الآمره ولكنهم تفاجأوا به يقول:

- ولكن هذا مخالف لقانون المملكة لقد أعطيتم ولاءكم وقسمكم من قبل للملك فكيف تحنثون القسم

توترت القاعة بمن فيها حينما صرخ قائد الجيوش غاضباً:

- لا دخل لك بهذا ..أنت قائد كتيبه وليس لك دخل بسياسة المملكة

نهض "جاسر" قائلا بجمود:

- نعم أعلم هذا أنا جندى وقائد فى الجيوش لا علاقة لى بسياسة المملكة وكذلك جميع الجنود والقادة من المفترض أنهم أيضا مثلى لا علاقة لهم بسياسة المملكة .

تعلمنا هنا أننا نتدرب ونبذل الجهد للحفاظ على أراضى المملكة ومحاربة الأعداء الذين يحاولون إحتلال أراضينا ولم نتعلم غير ذلك فلماذا الآن نتدخل فى شؤن المملكة وننصرف عن عملنا الحقيقى والوحيد وهو حماية حدود بلدنا ...

نهض الجميع فى ترقب وقلق وقد أحتدت المناقشة وأصبحت حامية الوطيس وأشتعلت النيران فى أعين الغاضبين موجهين حممها فى نظرات حادة إليه يريدون اقتلاعه من بينهم إقتلاعاً بينما أشار له قائد الجيوش بأبهمه محذراً وهو يقول مُهدداً:

- إختر الآن أيها القائد .. إما أن تطيع الأوامر بلا نقاش أو سيكون لك شأناً آخر

رفع "جاسر " حاجبية وهو يشد على مقبض سيفه قائلاً بتسائل:
- بمعنى ؟!
اقترب منه قائد الجيوش وقال بنفس نبرة التهديد والوعيد السابقة :
- أما أن تكون معنا وأما أن تكون علينا .. إختياران لا ثالث لهما
نظر له "جاسر" نظرة عميقة متحدية وهو يقول ببطء زاحف:
- أنا جندى سيدى قائد الجيوش لا شأن لى بالسياسة
زم قائد الجيوش شفتيه بقوة وهو يضغط فكيه بغضب حتى سُمع صوت أصطكاك أسنانه حتى كادت أن تتحطم وبسط كفه وهو يقول آمراً :
- أعطنى نياشينك جميعاً الان
أنتزع "جاسر" نياشينه المعلقة على كتفه ببرود ووضعها بيد قائد الجيوش وقد أبت عينيه إلا أن تطلق نظرات ساخرة للجميع لتشعرهم بخزيهم وعارهم الذى سيلاحقهم مدى الحياة من موقفهم المتخازل ...
هتف قائد الجيوش منادياً على الحراس من الجنود فى الخارج وعندما دلف الحراس إلى القاعة اشار إلى "جاسر" موجهاً حديثه لهم قائلا:
- ضعوه رهن الاعتقال حتى تتم محاكمته
خطى "جاسر" بإتجاه الحراس المذهولين بإرادته ثم إلتفت إلى جميع القادة مشيعهم بنظرات يملؤها الأحتقار والسخرية قائلاً:
- ستخرجون من تلك القاعة لتعلمون أبنائكم كيفية تقسيم ضمائرهم وشرفهم وتوزيعها على أصحاب المصالح فلا تندهشوا حيما تجدونهم يقسمون مملكتهم فى يوم من الأيام ويبيعوها للأعداء .. فمن يبيع شرفه وضميره يبيع أرضه وبلده
وإنصرف بهدوء يتوسط الحراس وتركهم وكأن على رؤوسهم الطير وقد خر بعضهم جالسين إلى مقاعدهم واضعين رؤوسهم بين أيديهم يحثون عليها تراب العار والخزى ولكن لا رجوع الآن

****

أندفع "سيسيان" إلى مجلس أبيه مرتدياً قناع الغضب والغيرة وأخذ يهتف بحنق :
- مولاى الملك ..
نظر له والده متعجباً وقال بقلق:
- ماذا دهاك يا "سيسيان"
تابع "سيسيان" حركاته المسرحية وهو يقول غاضباً:
- لا أتحمل وجود أختى "ياسمينا" بصحبة ذلك الرجل يا أبى ينفرد بها كل تلك الأوقات بمفردهم والأمس عادت إلى القصر بصحبته وقد ذكر لى الأمير "نوار" أنه رآهما يتضاحكان فى الطريق إلى القصر ويتمايلان فوق أحصنتهما بشكل مُريب يا مولاى
واقترب أكثر من والده وقال بصوت خفيض خبيث وبنظرة ذات مغزى :
- لقد بدء الناس فى التحدث بشأنهما يا مولاى
حك الملك المنصور ذقنه بتفكير عميق وقال بإهتمام:
- هل أنت منزعج إلى هذا الحد يا ولدى
عقد "سيسيان" حاجبيه وهو يؤدى دوره بحرفيه كبيرة قائلا:
- نعم يا والدى ..فـ"ياسمينا" لازالت صغيرة ورقيقة ومن السهل أن تنخدع ويتلاعب بها أحدهم
قال الملك بتفكير وتردد:
- ولكن يا "سيسيان" ... قاطعه دخول "ياسمينا" فى تلك اللحظة بردائها الأبيض الملائكى والذى يتعارض مع قسمات وجهها القلقه المضطربة وهى تقترب من مجلس والدها الذى ما أن رآها حتى ابتسم وقربها منه بترحاب وحبور وأجلسها بجواره وقد قرأ الحيرة والقلق فى وجهها وهو يسألها عن سبب قدومها الآن فقالت :
- والدى عندى سؤال أريد اجابته أرجوك
ضيق "سيسيان" حدقتاه بتركيز بينما رفع الملك حاجبيه وهو يقول:
- إسألى

فركت كفيها متوترة وقال بتردد:
- والدى هل حقاً كنت قاضياً فى يوم من الأيام ؟!
تبادر الملك النظرات الحذره مع "سيسيان" وهو يقول ببطء:
- من أنبأكى بهذا ؟!
قالت بتردد أكبر:
- القائد "جاسر"
نظر له "سيسيان" نظرات تؤكد له أنه كان على حق فى أمر إبعادها عن "جاسر" فهاهو قد بدء يتلاعب بعقلها ويخبرها بما لا يستوجب أن تعرفه فبادله الملك نظراته مؤكدا أنه اقتنع بكلامه وبأنه كان محقاً فى ذلك ويطلب منه التدخل فى الحديث لإنقاذ الموقف ..
فقال لها "سيسيان" على الفور:
- سمو الأميرة الجميلة لا تجهدى رأسك الجميل فى شئون ليس من ورائها طائل إهتمى بمجالس الأميرات فقط
هتفت حانقة :
- أنا أتحدث إلى الملك
قال "سيسيان" ببرود وهو ينظر إلى الملك نظرات حزينة مصطنعة:
- أخشى أن يكون الملك قاسياً معكى يا "ياسمينا"
ألتقط الملك طرف الخيط من "سيسيان" ونهض بغضب وهو يبتعد عنها هاتفاً بقسوة:
- لا تتدخلى فى شئون الملك يا "ياسمينا"
حاولت أن تتحدث ثانية ولكنه قاطعها بغضب مماثل :
- هيا انصرفى حالاً
أحمرت وجنتاها حنقاً وغضباً وبذلت مجهوداً مضنياً وهى تقاتل دمعة ضعيفة تريد أن تفر إلى وجنتيها واشاحت وجهها وإنصرفت غاضبة فى الحال

أقترب "سيسيان" من والده ووضع كفه على كتفه متصنعاً الحزن والامتنان وهو يقول مواسياً ومشجعاً:
- هذا افضل لها يا والدى ... هذا افضل بكثير
خرج "سيسان" من عند الملك متجهاً فى خطوات سريعة للخارج وما أن خطى بإتجاه الحديقة حتى رأى قائد الحرس واقفاً ينتظره فأشار له بيده أن يقترب . إقترب قائد الحرس على الفور وهمس فى أذنه :
- أعتقلوه يا مولاى
هز "سيسيان" رأسه بغضب وقال وهو يخطو خطوات سريعة :
- جميعكم حمقى
حدق به قائد الحرس ببلاهة فتوقف "سيسيان" فجأة عن السير ونظر نظرة يملؤها الكراهية وقال آمراً وهو يستند إلى شجرة كبيرة وضخمة تتوسط الحديقة :
- أرسل إلى قائد الجيوش ... "جاسر" هذا خطر وإن تركناه ستكون العواقب وخيمة ولن نستفيد من إعتقاله فى شىء وخصيصاً أننا مقبلين على النهاية
يبدو أن قائد الحرس لم يفهم مقصد "سيسيان" فقال بعدم فهم :
- ولكن قائد الجيوش أعلن انه سيحاكمه يا مولاى بتهمة الخيانة
مط "سيسيان" شفتيه بإزدراء وقال آمراً:
- أرسل إلى القاضى بأن تتم المحاكمة بعد أيام قلائل وقل له بأمر مباشر مني أن يحكم عليه بالإعدام
أطلت نظرة شامتة حاقدة من عينيى قائد الحرس وهو ينصرف خلف ولى نعمته تابعاً له فى سعادة كبيرة بينما لم يلاحظا من كان يقف على مقربة منهما خلف الشجرة ويضع يديه على فمه ليكتم شهقته ولوعته وفزعه ..
- سيقتلونك يا "جاسر" لقد صدر الحُكم قبل المحاكمة ولابد من تنفيذه .

الفصل السابع

خرجت "مودة" من القصر ليلاً تتوارى فى الظلام الذى ساعدها على ذلك وغطى القمر بردائة القاتم ليعطيها فرصة للأختباء عن الأعين إلا من عينين ينيتين أخذا يتبعانها بحرص وحذر وفضول .. بمجرد خروجها من القصر ابتعدت بخطوات واسعة تستفذ منها أنفاسها المتلاحقة بتوتر وقلق .. تشعر أن أحداً ما خلفها ولكنها لاتستطيع أختراق حاجب الظلام بعينيها الضعفتين ولكنها اصرت على متابعة السير الحثيث .. تقف تارة تلتقط أنفاسها وتملىء صدرها بنسيم الليل الهادىء ثم تنطلق بثبات وسرعه فى طريقها ووجهتها التى قصدتها منذ البداية حتى وصلت إلى مشارف بيوتات العامة فى المدينة ووجدت من كان ينتظرها هناك وضعت كفيها على كتفيه وهى تتأمل ملامحه قائلاة بلهفه:

- كيف نجوت يا ولدى ؟

أمسك كفيها بحنان وقال بصوت خفيض:

- مازال لدينا بعض الشرفاء يا "مودة" يا تقلقى

ثم أخذها من يدها وأتجها إلى أحد الأركان المظلمة .. ترجلت "ياسمينا" من فوق جوادها وهى تنظر فى الأتجاه المظلم الذى أختفت فيه "مودة" واقتربت منه ولكنها لم تجد أحداً كما لو كانت تبخرت ولم يبقى منها أثر يدل عليها .. وقفت قليلاً تظر حولها أنها المرة الأولى التى تقترب فيها من بيوت العامه التى كانت تلح كثيراً على والدها أن تذهب إليها ولكنه كان يرفض اقترابها من عامة الشعب ويحذرها من مغبة اقتحام حياتهم ... وقفت كثيراً حتى شعرت باليأس من عودة "مودة" فىثرت الرجوع وحدها .. أعتلت صهوة جوادها وعادت إلى القصر متخفيه كما خرجت منه متخفيه .. وأنتظرت فى مخدعها فبالتأكيد ستعود "مودة" وهذه المره لن تتركها حتى تعلم منها كل شىء لن تصبح بلهاء متعثرة مرة أخرى آن لشمس الحقيقة أن تشرق فى عقلها حان وقت فك أسر أسئلتها الحائرة

محطمةً قيودها تضرب بجناحيها مندفعة إلى سماء المعرفة لن تعود إلى قفصها الذهبى الملون مرة أخرى ... أنتظرت طويلاً حتى غلبيها جفنيها وخارت قواهما وذهبت فى رحلة قصيرة إلى النوم وحواسها جميعاً متأهبة فى غير ملل منتظرة مربيتها المخلصة

****

ومع بزوخ شمس اليوم التالى أستيقظ "سيسيان" ووقف يرتدى ملابسة أمام المرآة بمساعدة خادمة المقرب .. دخل خادماً آخر ووقف أمام الباب وهو ينحنى ويثنى جزعه بشكل مبالغ فيه قائلا بأدب:

- مولاى الأمير .. قائد الحرس يطلب مقابلتك فى الحال

عقد "سيسيان" حاجبية بأهتمام وهو يشير بيده للخادم قائلا:

- أجعله ينتظرنى فى الحديقة

أنصرف الخادم دو أن يعتدل من أنحاءته حتى خرج وأخلق الباب خلفه .. نظر "سيسيان" إلى هيئته نظرة أخيرة وسريعة فى المرآة ثم أنصرف متوجهاً للحديقة للقاء قائد الحرس ولكنه لم يجده وحده بل وجد قائد الجيوش قد أنضم له وهما ينتظراه بقلق وترقب .. بمجرد أن ظهر "سيسيان " امامها اضطربا قليلا وتبادلا النظرات مما اشعر "سيسيان" أن الأمر جلل .. وقف امامها يكاد يلتهمهما بنظراته المتفرسة فيهما وهو يقول ببطء:

- ما الأمر ؟

أطلق قائد الجيوش قذيفته المدوية قائلا:

- لقد هرب "جاسر" يا مولاى .. ساعده أحدهم

ساد الصمت قليلاً وهما ينظران إلى قسماته الباردة التى عادةً ما يعقبها أنفجار بركانى كبير يصلهما منه بعض شظاياه وحممه المتأججة وهنا قرر قائد الحرس أن يطلق قذيفته هو الآخر قائلا:

- أعتقد يا مولاى أن الأميرة "ياسمينا" لها علاقة بالأمر فلقد رايتها عائدة ليلاً إلى القصر متخفية فى الظلام

كتم "سيسيان" غضبه وهو يسمع صوت الملك المصور يقترب منهما وقال سريعاً كاظماً غيظه
- لو كانت الظروف مواتيه لأمرت بقطع رؤوسكم جميعاً أيها الحمقى
أبتلع القائدان ريقهما بصعوبه بينما وضع قائد الحرس اصابعه على رقبته يتحسسها وهو ينظر إلى "سيسيان" برعب حقيقى .. أقترب الملك منهما بأبتسامة كبيرة وهو يلقى عليهم التحية ثم وضع ذراعه على كتف ولده ناظراً إلى قسماته المتوترة الغاضبة متسائلا:
- ماذا بك يا ولدى ؟
قال "سيسيان" وهو يشير إلى قائد الجيوش بغضب:
- لقد أكتشف قائد الجيوش جاسوس بين صفوفه يا مولاى
عقد الملك حاجبيه وسرت قشعريرة فى جسدة وهو يكرر:
- جاسوس
أومأ "سيسيان" برأسه وهو يقول :
- نعم يا مولاى ولكن هذه ليست المشكلة الوحيدة
زاغت عينيى الملك بين الاربعة بعدم فهم وهو يقول بنبرة غلب عليها العصبية والتوتر :
- أية مشكلة ؟! .. وهل قبضتم عليه أم لا؟
كان قائد الجيوش سيبدء فى الحديث ولكنه توقف عندما لمح أشارة ما فى عينيى "سيسيان" تأمره بترك الأمر له فتوقف فى الحال وترك المجال له فى الحديث .. بدء "سيسيان" فى استخدام مواهبه التمثيليه ومال بأتجاه أذن والده وهو يقول بصوت خفيض:
- مولاى .. الأمر يتعلق بالأميرة" ياسمينا" لابد أن نتحدث وحدنا
وافقة والده وسار بجواره قليلاً مبتعداً عن القائدين وهنا قال "سيسيان" بتاثر واضح:
- مولاى أنا مقدر صغر سن الأميرة "ياسمينا" ولكن ليس إلى هذا الحد ... ليس إلى حد أن .. أن

وبدء يتصنع التردد وهو يقول :
- أن تعشق جاسوسا وتساعده على الهرب بعد أن تم القبض عليه
ألتفت الملك إليه بجسده كله دفعة واحدة وقد تقلصت ملامح وجهه وقد زاغت نظراته وهو يقول نافياً غير مصدق:
- مستحيل .. "ياسمينا" لا تفعل هذا ابداً
مط "سيسيان" شفتيه وهو يقول باسى :
- مع الاسف يا مولاى الخبر صحيح .. ولا عجب فى ذلك فلقد تركناها فى صحبته وحدها وقتاً طويلاً
أتسعت عينيى الملك وهو يردد بشرود:
- أتقصد ... أمير الرُماة !!
أرسل "سيسيان" تنهيدة طويلة وهو يخطف النظرات الجانبية إلى الملك قائلا:
- نعم يا مولاى .. أنه هو.. ولقد أكتشف قائد الجيوش خداعه وأعتقله ولكنه استطاع الهرب بمساعدة الأميرة وإن لم تصدق حديثى يا مولاى اسألها أين كانت بالأمس ولماذا خرجت متخفية من القصر فى جنح الظلام

شعر الملك أن صفعة ما نزلت مدوية على راسه وبدء يشعر بالدوران وهو مازال يردد مذهولاً :
- مستحيل .. مستحيل
****

أمسكت "ياسمينا" ذراع "مودة" وهى تلفها إليها وفى مواجهتها تماماً وظرت إلى عينيها حانقة وهى تقول باصرار:
- لا تراوغى يا "مودة" .. هيا قولى إلى اين ذهبتى ومن هذا الرجل الذى كنتى تحدثينه وأختفيتى معه فى الظلام
ثم فركت كفيها وهى تقول بشك :

- لقد شككت بك منذ الصباح علمت أن وراءك سراً تخفينه منذ ان رايتك تخفين رسالة ما خلف ظهرك حينما رأيتينى أمامك فجأة وخصيصاً عندما كنتى مُصرة أن أنام باكراً ورفضتى المكوث معى فى المخدع . ..

حاولت "مودة" المراوغه أكثر ولكنها لم تفلح فهى تعلم "ياسمينا" تمام المعرفة ولكن كيف تفشى السر .. قطعت عليها "ياسمينا " تسلسل افكارها وقالت بنبرة حازمة:

- إن لم تخبرينى أنا .. فسوف أخبر الملك بكل ما رايت

وهتفت بغضب شديد:

- هيا تكلمى

أبتلعت "مودة "ريقها بصعوبه وقالت بتلعثم:

- هذا الرجل كان . كان "جاسر" أمير الرُماة

عقدت "ياسمينا" بين حاجبيها وشعرت أن الدماء تغلى بداخل راسها وهتفت :

- ولماذا تقابلينه فى الظلام .. !

جذبتها من مرفقها بغضب وهى تصرخ:

- ماذا يحدث بينك وبينه يا "مودة" تكلمى الان

شعرت "مودة" بالأهانه فى تلميحات "ياسمينا "فقالت بشموخ وكبرياء

- سمو الأميرة لا تنسى أننى مُربيتك وكنتى تعتبرينى فى مقام والدتك

هدأت "ياسمينا" قليلاً ثم قالت بهدوء عاصف:

- اذن أخبرينى .. ماذا يحدث

عزمت "مودة " بأخبارها ببعض ما تعرفه وقصت عليها الحديث الذى سمعته رغماً عنها عند الشجرة الضخمة فى الحديقة والرساله الصغيرة التى ارسلها لها "جاسر" يخبرها فيه بموعد اللقاء فى الليل

أتسعت عينيى "ياسمينا" واضطربت ضربات قلبها بقوة وهى تقول :

- ولماذا يريدون التخلص منه

ثم ألتفتت إلى "مودة" متسائلة:
- ولماذا أختارك "جاسر" ليرسل لك برسالة يريد فيها مقابلتك ويطلعك على مكانه الذى يختبا به ؟!
أطرقت "مودة" براسها وهى تقول بثبات:
- لم يسمح لى بعد أن أخبرك بكل شىء يا "ياسمينا" لقد اخبرتك بما استطيع البوح به فقط
نظرت "ياسمينا" فى عينيها تحاول سبر اغوارها بصمت ثم قالت بتصميم كبير:
- أريد رؤيته
نظرت لها "مودة "بدهشة وقبل أن تنفرج شفتاها عن اجابة شافيه دخل الملك وقد أرتسمت على وجهه جُل علامات الغضب والحنق وبصحبته "سيسيان" هاتفاً بها:
- هل حقاً خرجتى بالامس فى جنح الظلام يا "ياسمينا"
أرتبكت "ياسميا" كثيرا وتلعثمت وهى ترقب نظرات الحقد والشماته فى عينيى أخيها الصامت .. لم يتظر الملك كثيراً وصرخ بوجهها:
- أجيبينى .. هل ساعدتى "جاسر" على الهرب ؟ .. هل ساعدتى الخائن الجاسوس على الهرب من العداله
هزت راسها بقوة وهى تلوح بكفيها نافيةً ما يوجه لها من اتهامات قائلة:
- لا لم يحدث .. أنا لم افعل أى شىء مما تقول يا والدى
صرخ بوجهها مرة أخرى :
- اذن أخبرينى اين كنتى خارج القصر فى جنح الظلام
ابتلعت ريقها لا تجد اجابة تقولها ولا تريد أن تفضح سره ولك "مودة" تدخلت فى الوقت المناسب قائلة بثبات:
- خرجا معاً يا مولاى
ألتفتت إليها "ياسمينا" بحنق تثنيها بعييها عن فضح سر "جاسر" بيما رمقها "سيسيان" بنظرات متفحصة وهى تتابع قائلة:

- كانت الأميرة تبكى دون سبب شاعرة بغصة فى قلبها بدون داعى أو سبب تعرفه وليس لديها رغبة فى النوم فاقترحت عليها نزهة خارج القصر لعلها تعود إلى طبيعتها وتتحسن حالتها

قال "سيسيان" بنظرات خبيثة:

- نزهة فى جنح الظلام يا "مودة"

نظرت فى عينيه بثقة وهى تجيب:

- نعم يا سمو الأمير هذا ما حدث

شبك الملك أصابع كفيه وهو ينظر إليهما بشك وصمت وبعد لحظات حرر اصابعه قال لها محذراً وهو يشير بابهامه يتهديد :

- لن تخرجى من القصر بعد الان لا إلى التنزه ولا إلى أى مكان آخر .. افهمتى ؟

أومأت "ياسمينا" براسها موافقةً وهى تقول :

- فهمت

خرج الملك من مخدعها مندفعاً للخارج بغضب وعصبية شديدة وتبعه "سيسيان" وهو يلقى عليها نظرة ماكرة ساخرة والخادمة تغلق الباب خلفهما وتنصرف

خرج الملك إلى مجلسه الخاص وهو يستشيط غضباً

و "سيسيان "يقول بانفعال:

- لماذ لم تستجوبها يا مولاى لا بد أنها تعرف مكان الجاسوس

هتف الملك بحدة وهو يلتفت إليه:

- هل تريد أن تستجوب الأميرة يا "سيسيان" .. هذا لن يحدث ابدا

قال "سيسيان" معترضاً :

- مولاى ..

قاطعه الملك بأنفعال مماثل:

- لن تفعل هذا فى حياتى ابداً ..أنتهى الأمر إلى هذا الحد هيا أخرج من هنا .. أخرج

خرج "سيسيان" غاضباً وهو يردد بداخله:
- حياتك هذه لن تستمر طويلاً يا مولاى الملك

وخرج من المجلس فوجد قائد الحرس ينتظره ..
اقترب منه وقال بخفوت آمراً :
- ضع عينيك على الاميرة هى ومُربيتها ليل نهار فأنا على يقين أنها ستخرج إليه مرة أخرى ..
ثم أستطرد وقد ملىء الشر والحقد عينيه
وهو يقول بصوت يشبه الفحيح :
- وعندما تفعل ذلك ستكون قد خطت بيدها نهايتها بجوار نهايته ... وبدمائهما معاً .. !

****
بمجرد أن أطمأنت" ياسمينا" وتأكدت من أبتعاد أخيها ووالدها ألتفتت إلى "مودة" قائلة بخفوت وتصميم :
- لابد أن أخرج اريد أن أتحدث معه ... أريد أن أعرف كل شىء
اقتربت منها "مودة" قائلة بحرص:
- سمو الأميرة الأمر خطير لا تعرضى حياتك للخطر
كادت أن تهتف ثم أخفضت صوتها مرة أخرى وهى تزم شفتاها قائلة بجدية:
- افعلى ما آمرك به .. اريد أن أراه فى اقرب وقت
شعرت "مودة" أنها تشم نسائم الخطر وهى تدنو منهما وترقبهما لتنقض عليهما مباغتة اياهما ولكنها لا تستطيع أن تكتم الأمر عليها أكثر من ذلك والخطر ليس خارج القصر فقط فبمجرد وقوفها بجانب "ياسمينا" ودفاعها عنها تيقنت أن "سيسيان" لن يتركها وفى كل الأحوال ..

قد اقتربت النهاية لا محالة فقالت بشرود وهى تنظر للسماء خارج الشرفة:

- سأطلب منه موعداً للقائك فى اقرب وقت .

الفصل الثامن

مضت عدة ايام لم تتلقى فيهم "ياسمينا" أجابة شافية على طلبها بلقاء " جاسر" وفى كل مرة كانت تكرر سؤالها لم تكن تأتيها إلا أجابة واحدة:
- لقد أبلغته بطلبك وليس بيدينا سوى الأنتظار يا سمو الأميرة
فى تلك الايام كان "سيسيان" يحاول الظهور بمظهر التخاذل فى البحث عن "جاسر" وعدم أهتمامه به وبالتالى كف قائد الحرس والشرطة عن البحث عنه واصبح الحال كالسطح الراكد تماماً ...
نراه هادئاً ولا نعلم الذى يعتمل داخله من غليان .. شعرت "ياسمينا"أن الأجواء هدأت حولها وأصبحت لا ترى أخيها سوى بالمصادفة متجنباً حتى النظر إليها .. ومع الوقت أصبح لها حرية الحركة داخل أو خارج القصر دون أن يشعرها أحدهم أنه يتلصص عليها ..
أعتقدت "ياسمينا" أنه الوقت المناسب وبالتالى شعرت" مودة" بنفس الشىء ولكن خبرتها فى الحياة كانت تشعر أن هناك شيئاً يُدبر فى الخفاء ولكن لا دليل عليه أمام ناظريها ... وبعد يومين آخرين جاءت رسالة العبور إلى "جاسر" ..أبتسمت "مودة" وهى تطوى الرسالة الصغيرة بداخل راحة يدها وهى تلتفت إلى الأميرة قائلة:
- غداً مساءاً يا سمو الأميرة
سرت رعشة بجسدها وهى تبتلع ريقها بصعوبة قائلة:
- غداً؟
ابتسمت "مودة" وهى تومىء برأسها قائلة بأضطراب يغلفه الحبور:
- رغم قلقى وما يعتمل بصدرى إلا أننى سعيدة بلقاءه مرة أخرى .. افتقدته كثيراً
عقدت "ياسمينا" ساعديها فوق صدرها وهى تستند بظهرها إلى ظهر مقعدها وتضيق عينيها متفحصة قسمات وجه "مودة" ..

نظرت لها "مودة " وإلى تفحصها لها وأبتسمت ابتسامة واسعة مما أجبر "ياسمينا" على التحدث بحنق قائلة:
- لماذا تبتسمين هكذا ؟
حركت "مودة" رأسها وهى ترفع كتفيها بمرح وتنهض واقفة وهى تستعد للأنصراف قائلة:
- لا شىء
وأنصرفت وأبتسامة أكبر من أختها تحتل ثغرها .. زفرت "ياسمينا" بقوة وهى تنهض وتقترب من الشرفة ناظرةً للسماء البعيدة القريبة تتضارب أمواج الأفكار بداخلها .. تتصارع وتتسابق إلى شاطىء الغد لعلها تجد إجابات شافيةً فى مساءٍ تنتظره بكل شغف .

****

وقف"جاسر" بداخل الخان متخفياً بالرداء المخصص للبائعين الذين يساعدون صاحب الخان فى بيع أعشابه لأصحاب الأمراض والأوجاع القاصدين له لعلهم يجدوا فى العُشب وبذوره ما لم يجدوه فى العقاقير كان "جاسر" مُجد فى عمله رغم تربصه بكل من يدخل الخان مراقباً له بطرف خفى .. وبعد إنتصاف النهار جلس جميع من بالخان يتقاسمون الطعام ويخلدون إلى راحة خفيفة تزيل عن كاهلهم عبء العمل المتواصل ووقوفهم على أقدامهم ساعات طويلة ..
ولكن الراحة لم تدم كثيراً .. أندفع الجميع للخارج فور سماعهم صوت صرخات بعض من السيدات فوجدوا رجال الشرطة يقيدون رجل مُسن بالسلاسل ويقتادونه أمامهم بوحشية كبيرة بينما تصرخ زوجته وابنته تستغيثان بكل من يمر بجوارهما لعل هناك أحد الشرفاء من يؤثر التدخل لإنقاذ هذا الكهل الكبير ..
تقدم "جاسر" خطوات خارج الخان بغضب شديد ولكن صاحب الخان وضع يده أمامه ونظر له بجدية وهو يهمس فى أذنه :

- ستفضح نفسك أيها المتهور
زم "جاسر" شفتيه وهو ينظر تجاه المرأتان الصارختان وهو يتمتم بغضب:
- ألا ترى ما يحدث هل سنتركهم يأخذون الشيخ المُسن هكذا من بيننا ؟
دفعه صاحب الخان للداخل ودخل خلفه وهو يقول بحنق وبنبرة زاجرة:
- إذن تعرضنا جميعاً للخطر وتفسد كل شيء ؟
قبض "جاسر" على إحدى القواطى والتى تمتلىء بالأعشاب أمامه وشد قبضته عليها بغضب حتى كادت أن تنكسر تحت وطأة الضغط وهو يقول بإستنكار:
- إلى متى سنصبر ... إلى متى ؟
وضع الرجل يده على كتفه وهو يقول بثبات وثقة:
- قريباً يا ولدى قريباً .. لا تتعجل
هدأت الصرخات وتحولت إلى بكاء شديد ثم إلى نحيب خفيض وشهقات متواصلة والجميع ينظر إليهما بأسف وحسرة وألم وضعف .. وفجأة قطع تلك المشاعر صوت رجل يخرج من خانه متهكماً وهو يقول ببرود موجهاً حديثه للنساء:
- لماذا تصرخون وتبكون هكذا فما حدث أمر طبيعى أنتم من تأخرتم فى دفع الضرائب المفروضة عليكم
نهضت السيدة الكبيرة وهى تكفكف دمعها قائلة بإنهيار :
- ومن أين لنا بالمال نحن نبيع الخضروات فتكفينا لطعامنا بالكاد من أين لنا بدفع تلك الضرائب الظالمة
نظر لها الرجل مهدداً وهو يقول بسخرية:
- ماذا .. ظالمة .. هل تقصدين الضرائب أم تقصدين من فرضها ؟
نهضت الفتاة سريعاً وهى تجذب والدتها إليها تخشى فقدها كما فقدت أبيها وهى تقول له :
- لالا يا سيدى هى لا تقصد شيء صدقنى

دفعت الأم يد ابنتها وهى تصيح بغضب:
- لا بل أقصد .. الضرائب ظالمة ومن وضعها ظالم
ثم نظرت إلى الجميع وهم يحدقون بها خوفاً عليها ولكن ما حوت صدورهم أكبر فجزاء الإعتراض على أوامر الحاكم معروفة مسبقاً فما بالكم بمن يتهمه بالظلم أيضاً ...
زاد الكيل وفاض جرحها وهى ترى بعينيها فقد زوجها ورب أسرتها يؤخذ أمام عينيها وهى تعلم أنه لا رجوع له فلقد عصى أوامر الملك وهتفت فى الجميع :
- نحن نجنى ثمار تخلينا عن الحاكم الصالح .. أتذكرونه ؟
إنتفض الجميع ودخل كل رجل إلى خانه وأغلقها خلفه خشية الوقوع فى جريمه ذكر الملك الصالح فهى جريمة لها عقوبة قصوى ربما تصل إلى الإعدام ... وهرب المارة من أمامها وكأنها تنذرهم بصاعقة ستنقض عليهم من حيث لا يعلمون بينما نظر الرجل المتهكم إليها وهو يقول ساخراً:
- سأتكتم أمرك فقط من أجل فتاتك الصغيرة تلك
جذبت الفتاة والدتها مرة أخرى وهى تبكى وتقول متوسلة:
- أرجوكى يا أماه لم يعد لى سواكِ ارجوكى أصمتى
هدأت الأم قليلا وهى تمد يدها لتجفف دمع ابنتها وهى تأخذها بين ذراعيها وتربت على ظهرها وهى تقول بلوعة:
- لقد صمتنا كثيراً يا ابنتى حتى وصل بنا الحال إلى ما هو عليه الآن لا تفزعى هكذا فلن يحدث أكثر مما حدث
****

وقف "جاسر" يعيد ترتيب القواطى الصغيرة التى تناثرت بين يديه فى الأرفف بتناسق بينما تقدم منه ربَ عمله مربتاً على ظهرة وهو يقول:
- هيا يا ولدى لقد حان وقت مغادرتك لقد بدأت الشمس فى الغروب

ألقى عليه "جاسر" نظرة سريعة وهو يضع ما فى يديه مكانه ويرسل تنهيدة طويلة وهو يعيد هندمة ملابسه مستعداً للقاءه المرتقب .
إنتظر قليلاً ثم خرج قاصداً منزل "مودة" المهجور القريب من حديقته والذى يسكنه منذ أن أستطاع الهرب قبل محاكمته الزائفة الهزلية
****

أقترب قائد الحرس حتى وقف أمام "سيسيان" الذى كان يجلس فى مقعده الوثير بعظمة وكبرياء .. أستشعر بعض الخوف قبل أن أن يقول وهو مطأطأ الرأس:
- مولاى لقد أعتقلنا اليوم أحد بائعين الخضروات وفعلنا كما أمرتنا وأوحينا لزوجته وابنته أنه أمر ملكى وأن الملك المنصور اصدر إلينا فرمانا بالقبض على كل من يمتنع عن دفع الضرائب وإن كان من المعدومين والفقراء
أومأ "سيسيان" برأسه وهو يقول برضا :
- عظيم
اضطربت خلجات وجه قائد الحرس وهو يقول متلعثماً :
- ولكن يا مولاى ....
ضاقت حدقتا "سيسيان" وهو يقول متبرماً:
- تكلم يا قائد الحرس ماذا لديك
ابتلع القائد ريقه قبل أن يقول بتردد:
- أخبرنا جاسوسنا هناك أن زوجة الرجل لم تصب غضبها على أوامر الملك المنصور وفقط وأنما ..أنما ذكرت الملك الصالح بخير وقالت أنهم قد ظلموه فيما مضى و..
قاطعه "سيسيان" بغضب وهو يضرب ركبته بقبضته هاتفاً:
- ماذا .. الصالح !!
نكس القائد رأسه وقد اصفر وجهه وهو يقول مؤكداً:
- نعم يا مولاى

أستند "سيسيان" إلى ظهر مقعده وهو يقول بشرود غاضب :
- وما الذى ذكرهم بالملك الصالح الان ؟
- البصاصين فى كل مكان يا مولاى وجميعهم أخبرنى بأن هناك مجموعات من الفتيان يجلسون إلى الناس فى الأسواق والتجمعات ويتحدثون معهم بشأن الملك الصالح ويذكرونهم بمناقبه وبأنه قد ظُلم وأن ما حدث كانت مؤامرة عليه ويدللون على حديثهم بأن الأوضاع لم تتحسن بعد سجن الملك الصالح بل على العكس لقد ساءت و ..
قاطعه "سيسيان" مرة أخرى هادراً:
- كيف تسمح الشرطة بالتجمعات وكيف لم يتم القبض عليهم فى الحال أيها الأغبياء
- أنهم يختفون فى لمح البصر يا مولاى ولم نستطع بعد تحديد هويتهم والمشكله الكبرى التى تواجهنا أن العامة تجتهد فى أخفائهم ويرفضون الافصاح عنهم .
نهض "سيسيان" واقفاً من مقامه وهو يضرب قبضته اليسرى فى قبضته اليمنى والشرر يتطاير من عينيه قائلا بصوت بركان خامد يستعد للفوران:
- هذا سيفسد كل شىء .. هذا ينسف مُخططى بالكامل فبدلاً من أن أجعل الناس تكره الملك المنصور وتسعى إلى التخلص منه جعلتهم يتذكرون الملك الصالح ويتعاطفون معه وهذا خطر داهم يا قائد الحرس
ألتفت إلى القائد قائلاً بتفكيرً:
- هؤلاء الفتيان لا يعملون وحدهم لابد لهم من قائد يحركهم ويوجههم
صمت قليلاً وهو شعل فتيل افكاره الجنونية ثم قال:
- الحديث الذى دار بين قائد الجيوش و"جاسر" أمير الرُماة .. كيف لم أنتبه !!
لمعت عينيه بانفجار شيطانى مستطرداً:

- "جاسر" أنه هو .. هو من يحرك هؤلاء الفتيان هو من يُقلب العامة علينا .. هو من يسعى لنسف مُلكنا الذى ثبتت أركانه منذ عشر سنوات كاملة

صمت مرة أخرى وقائد الحرس ينتظر الأوامر بترقب شديد إلى أن أشار له "سيسيان" بسبابته آمراً:

- أريد رأس "جاسر" هذا .. اليوم يا قائد الحرس

- ولكنه اليوم لن يكون وحده كما تعلم يا سمو الأمير !!

ضحك "سيسيان" فجأة وهو يعقد ذراعيه فوق صدره قائلا:

- الملك "سيسيان" أيها القائد

أتسعت عينيى قائد الحرس مندهشاً فلم يكن يتوقع أن تأتى النهاية بتلك السرعة ثم ماذا سيُفعل بالملك المنصور بعد الآن ؟ ! .. قطع عليه "سيسيان" أفكاره وهو يهتف آمراً:

- نفذ ما أمرتك به أيها القائد ..أريد رأسه ورأس كل من ستجدهم معه

رفع القائد رأسه ينظر إلى "سيسيان" خوفاً واضطراباً عندما سمعه يستطرد بحدة:

- ثم عُد إلى هنا لتضع الملك المنصور بجوار غريمه السابق.

****

حل المساء وبدء الظلام ينبش مخالبه فى السماء ويسيطر عليها بعتمته لولا ظهور النجوم الصغيرة مشاكسة ومدافعة فارضة وجودها فى ثوبها المتلألئ اللامع .. دلفت "ياسمينا" من الباب الخشبى المتهالك بثوبها الأبيض الملائكى يعلوه وشاحاً مثبتاً بدقة وذوق فوق كتفيها بصحبة " مودة" التى أوصدت الباب خلفها بحذر وهى تنظر حولها متفحصة للمكان ثم أشارت بيمينها إلى "ياسمينا " ترشدها إلى الإتجاه الذى تسلكه سارت "ياسمينا" بحذر وبطء وهى تستمع إلى صوت حذائها على الأرضية الخشبية الصنع والتى كانت تصدر أصوات أثناء السير عليها محذرة من تآكلها وربما تهالكها فى أية لحظة ودارت عينيها فى المكان

والجدارن تفوح منها رائحة الماضى بأحزانه وأطراحه وقد خط عليها الزمن خارطته العنكبوتية ..
أشارت لها "مودة" إلى ركن صغير يسكن زاوية مظلمة يؤدى إلى ُسلم خشبي صغير .. استندت "ياسمينا" إلى الدرج الخشبى وبدأت فى الهبوط للأسفل وخلفها "مودة" ترشدها حتى لا تتعثر وبمجرد أن وصلت للنهاية رأت الشموع الكبيرة مضاءة وأستطاعت أن ترى بوضوح ذلك القبو الفسيح والنظيف وكأنه مفصولاً تماماً عن الطابق العلوى للمنزل والذى تفوح منه رائحة الأعشاب والبخور ذو الرائحة الطيبة خالى تماماً من أى أثاث إلا من فِراش صغير فى أحد أركانه البعيدة ونافذة صغيرة بجواره قريبة جدا من سطح الارض
أقتربت "ياسمينا" من الفراش البسيط وجلست على أحد أطرافه وهى تقول لـ"مودة"
- أين هو ؟
أبتسمت "مودة" ابتسامة صغيرة وهى تقترب منها قائلة:
- لن يتأخر لا تقلقى أنه ...
قاطعها وهو يهبط على السُلم الخشبى قائلاً بحبور:
- أنه ماذا يا "مودتى"
نهضت "ياسمينا" على الفور بحركة لا إرادية منها وقد خفق قلبها بقوة لا تعلم لماذا ربما للرهبة التى يضيفها "جاسر" عند ظهوره المفاجىء فى أى مكان .. أقتربت "مودة" منه وهي تهديه ابتسامة عذبة قائلة:
- كيف حالك أيها الشجاع
إبتسم واضعاً يده على كتفها مربتاً عليه وهو يقول مطمئناً:
- أطمئنى أنا بخير
ثم ألتفت بجسده كله إلى "ياسمينا" التى كانت تفرك كفيها توتراً وإقترب منها على مهل وببطء وقد زينت ثغره ابتسامة صغيرة مُرحبة بها ثم قال بصوت رخيم:

- كيف حال أميرتى ؟
أبتسمت رغماً عنها وهى تقول :
- كيف حالك أنت ؟
هز رأسه بوقار وهو يفتح ذراعيه على مصراعيهما مشيراً إلى القبو وهو يقول لها:
- كما ترين أنا أسكن هذا القبو منذ هروبى من السجن
أقتربت منه خطوة وهى تقول بجدية:
- هذا ما أريد أن أفهمه يا "جاسر" .. أريد أن افهم ما يحدث حولـ
قاطعها وهو يضع أصبعه أمام شفاها لتصمت فبترت عبارتها وهى تنظر إليه بعدم فهم فسمعته يقول هامساً:
- أنه صهيل "جسور"
أرهفت سمعها وقالت هامسةً :
- ربما رأى "عنان" فهى قريبة من حديقتك
هز رأسه نفياً وهو مازال يرهف سمعه ثم ألتفت ناظراً إلى "مودة" قائلاً:
- هناك من تبعكما إلى هنا يا "مودة"
قال كلمته وتحرك مسرعاً نحو فراشه الصغير فجذبه بخفة فظهر خلفه باباً صغير غير واضح المعالم يكفى لمرور شخص واحد فقط فى المرة الواحدة .. فتح الباب فى الحال واشار إلى "مودة" أن تمر منه .. اقتربت وأنحنت قليلا وعبرت ثم اشار إلى "ياسمينا" برأسه وهو يقول :
- هيا
نظرت إليه بتردد لا تعلم ماذا تفعل ولكنها حسمت أمرها عندما سمعت جلبة فى الأعلى وصوت السقف الخشبى يتهالك تحت وقع اقدام ثقيلة تتجه إليهم فى الاسفل .. أنحنت وعبرت الباب سريعاً وخلفها "جاسر" واغلق الباب خلفه على الفور ..
جذبهم "جاسر" بأتجاه حديقته وبدء ثلاثتهم فى العدو تجاهها .. كانت "مودة" أبطأهم ولكنها كانت تعلم أن التوقف معناه الموت !

بذلت مجهوداً مضاعفاً حتى استطاعوا أن يصلوا إلى جواد "ياسمينا"
رفع "جاسر" جسد "مودة " المنهك فوق ظهر "عنان" وإلتفت إلى "ياسمينا التى كانت تلهث بشدة قائلا:
- هيا إمطتى جوادك خلفها
نظرت خلفها وهى تسمع صوت تحطم الباب الصغير ثم نظرت إليه بخوف متسائلة:
- وأنت ؟
دفعها نحو "عنان" وهو يصيح بها :
- هيا اصعدى وسنتقابل عند باب الغابة فى بستانى
صعدت "ياسمينا" فى سرعة وأنطلقت بإتجاه البستان وهى تسمع صوت صهيل الخيول خلفها مباشرة ثم رأت سهماً يعبر بجوار أذنها وسهماً خلفه مباشرة فوق راسها تماماً فصرخت وهى تنطلق بـ"عنان" بقوة وهتفت "مودة" :
- يريدون قتلك معه يا "ياسمينا" أسرعى
بمجرد عبور "عنان " بوابة الحديقة صهلت بقوة عندما ظهر أمامها " جسور " من العدم ويعتليه "جاسر" متجهاً نحو الباب الخشبى الكبير الذى يفصل حديقته عن الغابة وهو يهتف بها:
- أتبعينى بدون نقاش
أتسعت عينيها والهواء يلفح وجهها بقوة وهى تنظر للباب المغلق وهى تصرخ :
- كيف سنعبره وهو مغلق
عبرت الخيول بوابة الحديقة واقتربت منهما وهتف قائد الشرطه بصوت صارخ فى الجنود:
- أقتلوا الجميع الآن .. لافكاك لهما
سمعت "ياسمينا" صرخته وأهتز قلبها بقوة وقد أيقنت أن "سيسيان" أمر بقتلها هى "مودة" مع "جاسر" ..

وفى تلك اللحظة سمعت صهيل "جسور " وهو يرفع مقدمة قدميه ويضرب بهما الباب الخشبى الذى فُتح على مصراعيه وعبر وخلفه مباشرة " عنان " وأنطلقا يشقان أشجار الغابة الكثيفة المتشابكة ..إنحنت "ياسمينا" لتحمى وجهها هى و"مودة" وجوادها يتبع "جسور" فى تصميم ومثابرة محاولا اللحاق به ..

أغمضت "ياسمينا" عينيها وهى ترى أمامها ماضيها كأميرة فى قصرها ومستقبلها كفتاة مُطاردة يريد أخاها الفتك بها ولا تعلم لماذا !! ..

ماضية إلى حيث المجهول بداخل غابة تراها وتكتشفها لاول مرة ولا تعلم إلى أين المصير ولكنها مضطرة إلى أن تمضى وتلحق بـ "جاسر" إلى حيث المجهول .. ولما لا وقد أستحالت العودة !!

الفصل التاسع

أغمضت "ياسمينا" عينيها وهى ترى أمامها ماضيها كأميرة فى قصرها ومستقبلها كفتاة مُطاردة يريد أخاها الفتك بها ولا تعلم لماذا !! ..
تمضي إلى حيث المجهول بداخل غابة تراها وتكتشفها لأول مرة ولا تعلم إلى أين المصير ولكنها مضطرة إلى أن تمضى وتلحق بـ "جاسر" .. ولما لا وقد إستحالت العودة !
إعتصرت عينيها ألماً وقد شعرت بشىء صلب يرتطم بكتفها من الخلف ويخترقه وسمعت صرخة "مودة" وهى تهتف باسمها وبدأت قواها تخور وقبضتها تضعف وهى متشبثة بسرج "عنان" الجامحة خلف "جسور" فى سرعة جنونية ..
إلتفت "جاسر" فور سماعة صرخة "مودة " وأبطأ من سرعته قليلاً ليستوضح الأمر حتى أصبح بمحاذاة "ياسمينا" تماماً وإنعقد جبينه بشدة وهو ينظر إلى السهم المنغرز مقدمته بكتفها من الخلف .. لم يكن هناك مجالا للتفكير فالسهام تتطاير حولهم بجنون والخيول تتبعهم بتصميم ..
هتف "جاسر" موجهاً حديثه لـ"ياسمينا" :
- تماسكى .. لا تفقدى الوعى أرجوكى
ثم أمسك بلجام جوادها وتشبثت بها "مودة" حتى لا تسقط فى أية لحظة وماهى إلا لحظات وسمع "جاسر" صرخة أخرى خرجت بألم شديد من فم "مودة" ولكن هذه المرة كان السهم من نصيبها هى وأصبح "جاسر" فى موقف لا يُحسد عليه ،،،
فإنحنى فجأة يساراً فى إتجاه يعرفه جيداً ولم تكن "عنان" فى حاجة إلى توجيهها فقد كانت تتبعه كظله ..
وكان الطريق الذى سلكه "جاسر" مليئ بالأشجار المتشابكة شديدة الكثافة مقارنة بغيرها ولكنه كان يعبر بينهم بشكل مدروس تدرب عليه سنين طويلة ...
تبعته الخيول المطارده ولكن هذه المرة وجدت صعوبة بالغة واضطر الجميع إلى خفض سرعتهم والعدو ببطء أقل مما كانوا عليه وفجأة عثرت

عينيى قائد الشرطة على طريق مُمهد بين شجرتين فهتف فى الجنود وهو يشير إلى الشجرتين :
- اسلكوا هذا الطريق الممهد ... هيا بسرعة
وبمجرد أن عبر الجنود بين الشجرتين حتى اكتشف الخطأ الذى وقع به لقد كان فخاً سقطت على أثره ثلاثة خيول فى ذلك الخندق الكبير وتعثر البقية وحدث هرج ومرج بين الخيول التى كانت تصهل بقوة وهى تتراجع متخبطة فى بعضها البعض وتوقفت المطاردة في هذه اللحظة .
وأستطاع "جاسر" فى ذلك الحين الإبتعاد بقدر كاف عنهم والإختفاء بقلب الغابة وفُقد أثر ثلاثتهم وغابوا عن الأنظار ....

****

هتف قائد الحرس متوسلاً وعينيه زائغةً بين قائد الجيوش و"سيسيان" وهو يقول بخضوع :
- اقسم لك يا مولاى لقد إختفوا كأنهم سراب ولم نستطع العثور عليهم الفخ الذى نصبه لنا كان مُحكماً للغاية وكاد أن يقتلنا جميعاً
صرخ "سيسيان" وهو يردد بهستريا :
- أغبياء .. حمقى .. ملاعيين
ثم استدار إلى قائد الجيوش صارخاً فى وجهه:
- بأمر منى أنا الملك "سيسيان" يتم وضع الملك المنصور بالسجن ومن يتفوه بكلمة واحدة تُقطع عنقه فى الحال فلا ملكَ غيري الآن ..
وقبل أن يجيب قائد الجيوش صرخ "سيسيان" مستطرداً:
- وأمر جندك بالإنتشار فى المملكة وإذا إعترض أحد أو حاول الخروج على أوامرى يُعتقل ويُقتل فى الحال هو ونساءه وأطفاله ..
ثم هدأ قليلاً وهو يتابع بغطرسة :
- أما من يطيع الأوامر ويخضع لى فأعطه من الأمتيازات ما يريد وأجعله فوق الجميع

وألتفت إلى قائد الحرس هاتفاً :
- أما أنت أيها الغبى فاذهب إلى الأمير " نوار" وأتباعه وقل له أن يستزيد فى الحديث عن علاقة الأميرة المحرمة بقائد الرماة بين الناس ويقنعهم أنى أطاردهم للثأر لشرفنا الذى لوثه قائد الرماة ثم أجمع المهرجين والحثالة والبصاصين وأمرهم بأن يمشوا بين الناس محدثين عن عدلى ومناقبى والخير الذى سيعم المملكة أثناء فترة حكمى لهم

وعقد ذراعيه فوق صدره مطلقاً زفرات مُحملة بالوعيد للجميع قائلا:
- لابد من الترهيب والترغيب .. من يوالينى سأواليه ومن يعادينى فسيتمنى الموت حتى يجده

****

إندفع الجنود إلى مخدع الملك المنصور فإستيقظ فزعاً وهو ينظر إليهم وهم مدججين بالسلاح ملتفين حول فراشه الوثير :
- ماذا يحدث كيف تقتحمون مخدعى هكذا
قال قائد الشرطة بصرامة موجهاً حديثه للجنود :
- بأمر من الملك "سيسيان" أقبضوا عليه فى الحال
إتسعت عينيى الملك المنصور عندما سمع عبارة قائد الشرطة وأخذ يهتف وهم يحملونه رغماً عنه :
- "سيسيان " !!! ... " سيسيان" يفعل هذا بأبيه .. أتركونى
ذهبت هتافاته وصرخاته هباءاً وهو محمولاً ومُقيداً بالسلاسل والأغلال إلى مصيرة الوحيد .. إلى السجن ..
فكما أصبح ملكاً فجأة زال عنه عرشه فجأة وسُجن فجأة وزُج به فى السجن إلى جوار غريمه الأسبق .. وأغلقوا الباب الحديدى خلفه وتركوه يصرخ وينادى ولا مُجيب له حتى خارت قواه وجلس متشبثاً بالقضبان الحديدية وهو يبكى فى ذهول وكأنه فى حلم يريد الإستيقاظ منه ولكنه لا

يستطيع فلم يكن حلماً ولقد تأكد له ذلك حينما سمع صوتاً قوياً يأتى من خلفه يحدثه بوقار قائلا:
- مرحباً بك يا قاضى القضاة
تسارعت ضربات قلب المنصور وهو يرفع رأسه إلى مُحدثة الذى إقترب منه بإبتسامة صغيرة ساخرة قائلا له :
- لقد تأخرت كثيراً كنت أنتظرك منذ سنوات
إبتلع المنصور ريقة ووقف وهو يستند إلى الباب وقضبانه ورغماً عنه شعر بالرهبة تجاه محدثة ونطق لسانه بغير شعور وهو ينحنى برد فعل تلقائى:
- جلالة الملك الصالح !

****

لم تكن قد فقدت الوعى بعد وهو يحملها بين ذراعيه ويضعها فوق العُشب الجاف أسفل شجرة ضخمة بهدوء وسلاسة وهى تتمتم بخفوت :
- "مودة" .. "مودة"
أجابها "جاسر" وهو يجلسها وينظر لموضع اصابتها :
- لا تقلقى أنها بخير واصابتها طفيفة للغاية
بللت "مودة" شفتاها بلسانها وهى تلقى نظرة على "ياسمينا" وتقول بصوت متهالك:
- لا تقلقى يا بنيتى أنا بخير ... السهم لم يصب إلا طرف ذراعى فقط وسقط فى الحال
أغمضت "ياسمينا" عينيها وكتمت صرختها متشبثةً بذراعه حينما أنتزع "جاسر" السهم من كتفها فجأة وبدون سابق إنذار ..
شعرت أن روحها أنتزعت منها ثم عادت إليها مرة أخرى وبدأت تشعر بخدر يسرى فى كتفها بموضع الإصابة وحتى أصابع يدها ...

نهض "جاسر" وهو يلتفت حوله ببطء يبحث بعينيه بين الأشجار عن شجرة بعينها حتى وجدها فذهب إليها واقتلع بعض أوراقها الجافة ولملم بعض ثمارها وعاد إليهما على الفور ..
جلس بجوار "ياسمينا " وقال وهو يمزق جزء صغير من ثيابها واضعاً ورقة من الشجر مكان إصابتها مثبتاً لها جيداً:
- استرخى ولا تخافى هذه الأوراق ستعمل على إلتئام الجرح سريعاً وستعالج أعراض الإصابة هى وثمار التين تلك .. حاولى أن تأكلى بعضاً منها
وضع الثمار بجوارها ثم تقدم من "مودة" التى كانت أفضل حالا من الأميرة وفعل نفس الشىء معها وأعطاها بعض الثمار لتأكلها فربتت على كتفه بإمتنان وهى تقول:
- لا تخشى علي يا ولدى إهتم بالأميرة فإصابتها بالغة
إلتفت إلى "ياسمينا" فوجدها إسترخت بظهرها على الأرض مغمضة عينيها مما أشعر "مودة" بالقلق وقالت :
- ماذا بها ؟
قال "جاسر" مطمئناً :
- أتركيها تنام فهى فى حاجة إلى الراحة الآن
قالت "مودة" بنبرة خفيضة متسائلة:
- ماذا سنفعل الآن ؟ .. هل سنذهب إلى " صارم الحكيم " ..؟
نظر إلي "ياسمينا" ثم نظر إليها قائلا:
- بل ستذهبين وحدك ولا تقلقى "جسور" يعرف الطريق جيداً .. سيذهب بك إلى هناك ثم يعود إلي عند بزوغ أول خيط من خيوط الصباح.
ألقت "مودة" نظرة على جسد "ياسمينا" المسجى على الأرض ونهض هو يجمع الحطب الصغير وقالت بقلق:
- ولماذا لا نذهب جميعاً ؟!
قال وهو يشعل الحطب بصعوبة:

- لا نستطيع أن نأخذها إلى " صارم الحكيم" وهى لا تعرف أى شىء عما حدث فى الماضى فهذا المكان آخر مكان آمن لنا ولا استطيع التضحية به بسهولة هكذا

قالت معترضة:

- ولكن "ياسمينا" غير الجميع يا ولدى ثم أنها مُطاردة مثلنا

هز رأسه وهو يقول بجدية:

- لا أستطيع أن أجازف تحت أى ظرف وتعليمات "صارم " محددة وتسرى على الجميع وأنت لن تستطيعى البقاء معنا أكثر من هذا لابد أن ترحلى بعد قليل

أرسلت "مودة" تنهيدة قوية خرجت من أعماق قلبها وهى تقول بإستسلام :

- كما تريد ولكن الأميرة فى أمانتك وتحت رعايتك يا "جاسر"

إبتسم "جاسر" إبتسامة مشاكسةً وهو يرفع حاجبيه قائلا:

- أتخشي عليها مني ؟!

إبتسمت وقد غزا الإرهاق معالم وجهها وخلجاته وهى تقول بوهن :

- لا أخشى على أى شىء منك يا ولدى فأنت تلميذ "صارم الحكيم" .

أمسك يديها وهو يساعدها على الإستلقاء فوق العُشب قائلا:

- إستريحى قليلاً قبل الذهاب وقبل أن تستيقظ "ياسمينا "

****

تجمدت الدماء فى عروق الناس وانتشر الرعب بينهم وهم يرون جنود الجيش تنتشر فى المدينة وشوارعها بينما يهلل البعض لها ويهتف بسعادة وهم يسيرون خلف الخيول مبعثرةً عليهم غبارها تلطخهم به دون أن تعبأ بهم فهم من أصروا على السير خلفهم طواعية ...

وإنتشر خبر سجن الملك المنصور وتنصيب "سيسيان" ملكاً للممكة

ووقف قائد الجيوش ينادى فى الناس بصوت جهورى قائلاً:

- أيها الناس لقد شعر الملك "سيسيان" بمعاناتكم وفقركم وسوء أحوالكم أثناء حكم الملك المنصور ولقد ثارت عواطفه تجاهكم ودمعت عيناه من أجلكم وحاول كثيراً مع والده المنصور أن يقيم العدل فيكم ويرحم ضعفكم ولكن المنصور أبى ذلك وأصر على موقفه منكم وأصر على التغاضى عن ما يحدث لكم والإنتهاكات التى تتعرضون لها أثناء فترة حكم المنصور لذلك ثار الملك "سيسيان" وأصر على الإطاحة بوالده من أجلكم أنتم ... فأنتم نور عينيه كما قال ...

فعل ذلك ليعم الرخاء وينتشر العدل فى المدينة ولقد أقسم الملك "سيسيان" على تحقيق العدل رغم أنه لا يحب القسم أبدا كما تعلمون .. هلل على الفور من كانوا يسيرون خلف الخيول هاتفين بحياة الملك "سيسيان" بينما نظر الناس بعضهم إلى بعض ولقد عادوا بذاكرتهم إلى الوراء عشر سنوات وتذكروا نفس المشهد حينما عزل قائد الجيوش "سيسيان الأكبر" الملك "الصالح " وقال نفس الكلمات تقريباً مع كثير من الشجن والعاطفة فى نبرة صوته التى أضافت أداءاً مميزاً على كلماته الحانية ...

إنصرف قائد الجيوش بخيله وركبه وبدأ المهرجين فى أداء فقراتهم المضحكة وتقليد المنصور وهو يُعتقل ويزج به فى السجن والبعض ينظر ويضحك والبعض الآخر يزم شفتيه ولسان حالهم يقول :

"ما أشبه اليوم بالبارحة "

وتوسط الأمير "نوار" الحلقة التى يجتمع حولها الناس ويتبعه رجاله وأتباعه وأخذ يهتف فى الناس وهو يقص عليهم ما حدث بين الأميرة وقائد الرماة من أفعال مشينة مما تسبب فى جرح مشاعر الملك "سيسيان" وقرر رغماً عنه مطاردتهم حتى يقتص لشرفه الملوث ومن أجل ذلك أيضا قرر الملك "سيسيان" الإطاحة بوالده لأنه يصمت عن تلك الأفعال المشينة التى تسيئ إلى المملكة ..

لم يبذل الأمير "نوار" جهداً فى إقناع بعضهم فلقد وجد هواهم تصديق ما يقول دون بينه ولا شهود والطريق ممهداً أمامه لإتَباعه وكأن الناس قد جُبلوا على حب الخوض فى الأعراض ونهشها بأريحية تامة .

عاد الناس بذاكرتهم لواقعهم الآن وهم يرون نفس الناس التى هللت منذ سنوات لتلك القرارات .. هم أنفسهم من يهللون الآن لها ويهرولون فى أعقاب الخيول مجففين ماء وجووههم بتراب خيولهم تبركاً وخضوعاً .
إنصرف الجميع إلى تجارتهم وخاناتهم ضاربين كفاً بكف وهم ينتظرون حالا أسوأ بكثير مما كانوا عليه وسارت بينهم الهمهات وقد أضمروا بداخلهم على عدم الخضوع مرة أخرى كما فعلوا منذ سنوات فـ
"سيسيان" الأصغر لم يختلف كثيرا عن "سيسيان" الأكبر جميعهم خونة .

****

أستيقظ "جاسر" صباحاً عندما استمع إلى جلبة قريبة منه وفتح عينيه ببطء وهو يشعر بأنفاس قريبة منه تلفح وجهه .. إبتسم وهو يربت بكفه على وجه "جسور" وينهض واقفاً يبحث فى سرجه عن الرسالة التى كان ينتظرها وبالفعل وجدها وفضها سريعاً وابتسم وقد إطمئن على سلامة وصول "مودة" وإطمئن أيضاً حينما وجد إشارة فى الرسالة من "صارم" تفيد أنه تصرف بشكل صحيح حتى الآن .
طوى الرسالة وإلتفت خلفه وإقترب من الشجرة التى ترك عندها "ياسمينا" نائمة منذ ليلة أمس ولكنه عقد جبينه بقوة وتوجس حينما لم يجدها وشعر بالقلق يعتريه بشدة وأخذ يدور حول المكان لعله يجد لها أثراً ولكنه لم يجد أى أثر لها إعتلى صهوة جواده القوى وهو يربط على رأسه قائلا :
ـ تفقد أثر "عنان"

سار "جسور" ببطء وعلى مهل يبحث عن محبوبته وقد إنتقل قلق فارسه إليه وبدأ يدور فى المكان ويبتعد شيئاً فشيئاً حتى إبتعد عن المكان و"جاسر" ينادى بإسمها محاولاً إختراق أغصان الأشجار بعينيه حتى توقف "جسور" فجأة وصهل بقوة وهو يرى "عنان" مقدمة عليهما إنطلق "جاسر" نحوها وأخذ يتفقدها وفجأة إضطرب قلبه بقوة وسارت قشعريرة فى جسدة وهو يرى آثار الدماء التى رسمت لوحة صغيرة على ظهر عنان تمثل اصابع صغيرة كانت مدرجة فى الدماء وتشبثت بظهر "عنان" بقوة قبل أن تُحمل من فوقها بعنف ..
تفقدها جيداً وتفقد قوائمها الأربعة وقال بخوف حقيقى يشعر به لأول مرة فى حياته :
- لصوص .. !!

الفصل العاشر

وقف قائد الجيوش أمام "سيسيان" وقد أنهى قراءة رسالة قبيلة "الهود" وطواها سريعاً وهو ينظر إلى "سيسيان" الذى كان يستمع إلى فحوى الرسالة فى تركيز وتفكير شديد قرر أن يقطعه وقال موجهاً حديثه لقائد جيوشه:

- ماذا ترى يا قائد الجيوش أنا أشعر أن تلك الخطوه لابد من تأخيرها قليلا ولكنى أخشى غضب أخوالى فهم كما تعلم زعماء قبيلة "الهود" ولابد من تنفيذ أوامرهم كما يجب

عقد قائد الجيوش بين حاجبيه وهو يقول مستفهماً:

- ولماذا التأخير يا مولاى فأنت الان الملك والكلمة الاولى والأخيرة لك

حك "سيسيان" ذقنه وهو يقول :

- بمجرد سماحى لجنود قبيلة "الهود" للدخول والاقتراب وحماية حدود مملكتنا سيجعل العامه تفكر والتفكير كما تعلم ليس بمصلحتنا ابدا

ابتسم قائد الجيوش ساخراً ثم قال:

- مولاى الملك وهل تعبأ بمثل هؤلاء .. فلو كان يرجى منهم التفكير لما صمتوا كل تلك السنين

قرر "سيسيان" أن ينهى التردد العابث بعقله واشار له قائلا:

- معك حق فلو كان يرجى لهم التفكير او التحرك لما صمتوا على ما فعله قدوتى وقائدى

"سيسيان الأكبر" مع "الصالح" منذ سنوات... هيا أؤمر الكاتب أن يبعث إليهم برساله بموافقتنا على حماية حدودنا كما يريدون وأنتشار جنودهم فيها ولتكن هذه الخطوة الأولى من خطواتنا المستقبليه لتثبيت دعائم قبيلة "الهود" داخل المملكة كما خططنا منذ سنوات طوال

أبتسم قائد الجيوش وهو يؤدى التحية العسكرية برضا كبير ويهم بالأنصراف ولكن "سيسيان" أوقفه قائلا:

- لا تنسى أمر "صارم الحكيم" فبدون أن نجده ونقضى عليه هو واتباعه كل شىء نفعله مُهدد بالفضح فهو يقرا افعالنا ويعلم ما يدور بخلدنا قبل أن نقوم به

ثم ضرب أحد حواف عرشه وهو يقول بغضب وحيرة :

- لا أعلم كيف يفعل هذا !! .. فى الماضى لم يصدقه أحد ولكن بعد تحقق ما كان يتنبا به فسيصبح حديثه له شأن آخر عند العامه وربما يحدث ما نخشاه جميعاً

أنحنى قائد الجيوش قائلا:

- نبذل قصارى جهدنا يا مولاى ولكنه كما تعلم داهيةً ويستطيع بمعاونة اتباعه أخفاء مكانه كلما اراد ذلك

****

لاحظ "جاسر" الخدوش والحروق الطفيفة بجسد جواد "ياسمينا" ورماد النيران والعُشب المبتل مازال عالق بقوائمها فعلم أن من إختطفوها يُخيمون بمكان بعيد عن قلب الغابة وقريب من الصخور والشلال الصغير ..

إنطلق بـ "جسور" يشق به قلب الغابة وأغصانها ومصاعبها حتى بدء الشلال بالظهور فسار بمحاذاته قليلاً وعلى مهل فالمنحدر خطير للغاية وبدأت آثار أقدام الخيول فى الظهور تتبعها هو بهدوء وترقب فى حذر وكانت خيوط القرص الذهبى بدأت فى الإنسحاب من سماء المعركة مختبئة خلف عتمة قمرها المظلم فى ليلة توهج فيها القمر مستعداً للنزال ....

ترجل الفارس من فوق جواده الأسود وهو يرى الدخان يتصاعد للسماء وسمع طقطقات ألسنة اللهب التى تتوهج وتزداد من مسافة قريبة منه ..

إختبأ خلف الشجر الضخم وهو يتنقل من شجرة لأخرى يطارد الدخان المنبعث من مكان المُخيم وإندهش عندما ميز صوت طبول تدق وتزداد شيئاً فشيئاً مع عتمة الليل إرتفاعاً ووضوحاً شعر بشعور خفى يتملكه وهو يرى اللصوص وقُطاع الطرق يلتفون حول نيران كبيرة ويضحكون ويتسامرون والنيران تلقى

ضوءها عليهم فتُظهر صدورهم العارية ووجوههم الصارمة القاسية ورائحة شواء الغزال تسيل لعابهم أكثر وأكثر
وفجأة أرتفعت صرخة فى السماء تجمدت على آثارها الدماء فى عروقة وقد عرف مصدرها أنها"ياسمينا" ورأى رجلان من اللصوص يخرجان من أحدى الخيام وهى بينهما مقيدة بالحبال تقاوم كريشة فى مهب الريح وتقدم منها رجل ضخم ودفعها فطرحها على الأرض فتكشف جزءاً من ساقيها وبدت أنثوتها طاغية تبعث النيران ملتهبة فى الأجساد وتدفع الدماء إلى الرؤوس يسيل على أثرها لعاب اللصوص كوحوش ضارية ..
لم يتحمل "جاسر" تلك النظرة فى عيونهم ولأول مره تذهب يده إلى سيفه بدون تفكير .. قبض على قبضة سيفه وهم بإنتزاعه ولكنه رأى أمرأة أخرى تخرج من الخيام وتتجه نحو الرجل الضخم بثورة عارمة وتسبه بأفظع الألفاظ وهو يحاول دفع يدها بعيداً عنه صارخاً فيها:
- اصمتى أيتها العجوز سأنال منها رغماً عنها وعنكى وأنعم بجمالها
صرخت "ياسمينا" بإحتقار شديد :
- هيهات أن تنال منى أيها المجرم أنا الأميرة "ياسمينا"
نظر اللصوص إلى بعضهم البعض وإلى زعيمهم الذى أنفجر ضاحكاً فظهرت أنيابه المُقززة ثم قال:
- أذن فسننال الجائزة الكبرى الذى قدمها الملك" سيسيان" لمن يسلمك له
ثم تابع بنرة خبيثة :
- ولكن أين هو عشيقك أمير الرماة هل أخذ حاجته منك وتركك فى الغابة وحيدة
أنهى عبارته وثارت ضحكات اللصوص المتواليه وهى تنظر إليهم بعينين غائرتين لا تفهم شيئاً ولكنها أعتدلت فى شموخ وهى تقول :
- أخرس أيها اللص أنا أبنة الملك المنصور
زادت ضحكاتهم ولمزاتهم ثم نزع أحدهم الريش المعلق فوق خصره حول غمد سيفه ووضعه فوق راسه وأخذ يدور حولها ساخراً من والدها وهو يقول :
- أنا أبنة الطرطور أنا أبنة الطرطور
والجميع يضحك ويقهقه حتى أنقلبوا على ظهورهم من كثرة الضحك وهى تشاهدهم بعينين دامعتين وجسد مرتعد مرتعش

وما أن هدأوا حتى تقدم منها زعيمهم وهو يتابع حديثه الساخر:
- ألا تعلمين ايتها الجميلة أن الملك الان هو الملك "سيسيان" وأن ابيك زج به فى السجن وأنتى الان غنيمتى سأنال منكٍ ثم أسلمك إلى أخيك ليقتلك أنتٍ وعشقيك أمير الرماة وآخذ مكافأتى
ثم جذبها من حبالها المُحيطة بقبضتيها وهو يصرخ بها :
- لن يشفع جمالك عندى وأنا أفترسك
ثم صرخ فى الرجلين :
- إحملوها إلى الخيام مرة أخرى ولا تفكوا قيدها فستكون عروسى الليلة
ثم أخذ يضحك فى صوت وحشى جهورى وفى تلك اللحظه كان "جاسر" يفكر بطريقة أخرى ويتسلل بخفة تجاه الخيمه التى رأى "ياسمينا " تُحمل إليها ولكن من الجهة الأخرى الخلفية وأخذ يتقدم ببطء شديد متشحاً بالظلام والأشجار حتى أستطاع الوصول إلى الخيمة الكبيرة التى تحوى أميرتنا المطاردة مقيدة بالحبال بداخلها وتسيل الدماء من بين قبضتيها وتأن بهدوء وتبكى بكاءاً حاراً وهى تتخيل نفسها بين يديى ذاك الرجل الضخم وأخذت تتمتم وهى تشهق بصوت مسموع :
- أين أنت يا "جاسر"
أستطاع أن يشق شقاً صغيراً مُمزقاً جزء صغير من الخيمة بنصل خنجره المُدبب وأخذ يجذبه بحذر وهدوء حتى أتسع شيئاً فشيئاً بخفة وبراعة دون صوت ولكنه توقف فجأة عندما لمح الرجل الضخم يدلف إلى الخيمة ويأمر أتباعه بالابتعاد قائلا:
- هيا اذهبوا لا أريد إزعاجاً هذه الليلة
ضحك أتباعه وإنصرفوا يتغامزون مسدلين ستار منفذ الخيمة وبدء يتقدم نحوها بعينين راغبتين وهى ترتعد وتزحف للخلف طالبة للرحمة ولكنه لم يسمعها .. لم يرى إلا جمالها ولم تحركه سوى رغبته فيها وكأنه أصبح أصم أبكم منزوياً عن الدنيا وما حوله وما أن أمسك بها حتى صرخت بفزع صرخة عظيمة ليس بخوفها مما ستلاقيه على يده وإنما لرؤيتها رأسه تطيح من فوق جسده لترتطم بجدار الخيمة فى الجهة الاخرى وتدحرج على الارض ثم يسقط وتندفع شلالات الدماء من منبت راسه ويسقط جسده يساراً فيظهر "جاسر" من خلفه عينيه

تحولت للون الدماء وسيفه يقطر مثلها ولكنها دماء حقيقة ليست لوناً فقط كتمت صرخة أخرى ولكنها صرخة سعادة وهى تنطق باسمه ..
والأمل يضوى عينيها ببريقه وقد دب فى أوصالها ينبئها بالنجاة .. وضع سيفه فى غمده وأخرج خنجره مرة أخرى واقترب منها وأخذ يقطع حبال قيدها وهو يتمتم بحذر:
- أطمئنى .. أهدئى قليلاً سيصبح كل شىء على ما يرام
كان جسدها يرتجف خوفاً وفرحاً وارتجف أكثر حينما أنتهى من معالجة قيودها وأمسك بها ليوقفها ولكنه وجد الوهن يدب فى أوصالها وقدماها ترتعشان وهى تقول بضعف:
- لا أشعر بقدماى
شعر بأقدام تقترب من الخيمة وصوت إمرأة عجوز تصرخ :
- أخرج أيها الأحمق
ومن الواضح أن اللصوص يحاولون إبعادها عن الخيمة حتى لا تعكر صفو زعيمهم وهى تقاومهم وتصرخ بهم ..
ألتفت "جاسر" إليها ليجدها فى طريقها للسقوط من فرط الإجهاد والفزع التى تعرضت له فحملها بين ذراعيه وإتجه إلى الشق الذى صنعه فى الخيمه وخرج منه على الفور وبدء رحلة العودة ولكن هذه المرة وهو يحملها بين يديه ..
وما أن إبتعد لمسافة بعيدة نسبياً عن مخيم اللصوص سمع صوت الصرخات والطبول تدق وتزداد حدة منذرة بوعيد إكتشفاهم لمقتل زعيمهم وشعر أنه لا بد من أن يزيد من سرعته قليلاً فرفعها على كتفه وبدء فى الركد الخفيف حتى وصل للشلال .. استعادت "ياسمينا" وعيها قليلاً وسمعته يطلق صفيره المميز وصهيل "جسور" يقترب منهما وما أن اقترب حتى حملها "جاسر" ووضعها فوق ظهر حصانه وصعد خلفها وركل بطن "جسور" بخفة فأنطلق مسرعاً عائداً إلى قلب الغابة مرة أخرى .. أما هى فقد غلبها الإعياء وعادت إلى الوارء وتركت راسها تسترخى على صدره وأغمضت عينيها وأنسابت العبرات على وجنتيها وراحت فى سبات عميق حتى قطع شوطاً كبيراً وهو يبتعد عن مكان قطاع الطرق واللصوص متخذاً مساراً متعرجاً حتى يستطيع أخفاء اثار اقدام حصانه فلا يتبعه أحد اً منهم والجو عاصف يساعدهم على محو آثارهم بالكلية..

****

عاد "جاسر" إلى قلب الغابة حيث الشجر الضخم والذى يخفى بأوراقه العريضه زائريه وبدء المطر فى الهطول رويداً رويداً .. صهلت "عنان" بضعف حينما رأتهم مقبلين عليها وقد افترشت الارض بقوائمها الاربعة ونهضت بإعياء ووهن عندما اقترب منها "جسور" متحسساً غرتها برأسه بهدوء وسلام وترجل "جاسر" من فوق ظهره ثم استدار وحمل "ياسمينا" المُتعبة ولكنها فتحت عينيها وبدلا من أن تبادله نظرة أمتنان عاملته بجفاء ودفعت يده وحاولت القفز من فوق ظهر "جسور" وحدها ولكنها سقطت ... ساعدها "جاسر" على الوقوف وفى عينيه نظرة متسائلة .. لماذا هذه المعاملة الجافة والنظرة المعاتبة .. عاد من تساءلاته على صوت هتافها وهى تدفع يده مرة أخرى بحدة :

- أتركنى استطيع النهوض وحدى

عقد بين حاجبيه مستنكراً لحديثها ومعاملاتها له وهو يقول بعدم فهم:

- ماذا بكِ ؟! .. لماذا هذه الحدة فى صوتك

سارت خطوتين للأمام وهى تقول بغضب:

- لا شأن لك بى

زفر بقوة وهو يشعر بالارهاق الشديد يدب فى أوصاله :

- بداخلى سؤال يلح بقوة ورغم ارهاقى إلا أنى اريد أجابة شافية منكِ

استدارت له بأنفة وصمت فقال على الفور:

- كيف استطاع اللصوص أن يأخذوكِ بالأمس

هتفت بعصبية:

- لا شأن لك

صاح غاضباً وقد فاض به الكيل:

- أين كنتِ ذهبتَ يا "ياسيمنا" لو بقيتِ بجوارى لما استطاع أحد الوصول إليكِ ولماذا اصطحبتِ معكِ "عنان" إين كنتِ ستذهبين بدونى ؟!

لازت "ياسمينا" بالصمت ولم تجيبه على تساؤلاته العديدة مما جعله يغضب أكثر ولكنه آثر الصمت فـ زخات المطر قد أزدادت وملابسها ابتلت للغاية ويظهر عليها الإعياء الشديد ... وضع يديه على ظهر "جسور" متأهباً لأعتلائه وهو يقول:

- هيا .. أتبعينى
هتفت بأعتراض:
- إلى إين ؟
أستقر فوقه وتابع دون أن ينظر لها :
- إلى مكان أكثر جفافاً من هنا
أعتلت صهوة مهرتها بيدين مرتعشتين وتبعته بخطوات بطيئة وبنظرات منكسرة حزينة وبعد قليل توقف وترجل ففعلت مثله وأمسك بلجام جواده ورأته وهو يتوجه نحو كومة من الأشجار وهكذا ظنت فى البداية ولكن بعد اقترابها منها وجدتها عبارة عن كوخ صغير خشبى تغطية الاشجار من كل أتجاه فمن يراه من بعيد يظنه كومة من الأشجار وأغصانها تتشابك وتتعانق لتصنع منه مكان آمن بعيد عن أعين الاشرار ... أشار إليها وهو يقول بلهجه جادة :
- هيا أدخلى
ارسلت نظرة متفحصة للكوخ الخشبى ثم عادت إليه بعينين متسائلتين فقال على الفور:
- هيا ..أدخلى وأستريحى بالداخل قليلاً فلدينا حديث مطول بعد أن تستعيدى نشاطك وقوتك
أبتلعت ريقها بصعوبة يغلفها الخوف وهى تتمتم:
- وأنت أين ستنام؟
نظر لها نظرة زاجرة وقال بحدة:
- سأظل فى الخارج هنا
تقدمت خطوات نحو الكوخ حتى اقتربت من بابه ونظرت نظرة خاطفة فوجدته خالٍ تماماً يلفه الفراغ سوى بعض المنسوجات المتهالكه المفترشة الارض
ألتفتت إلى "جاسر" لتبدى أعتراضها ولكنها وجدته يمد يده لها بوشاحه السميك قائلا:
- خذي هذا تدفئى به حتى أستطيع اشعال بعض النيران فى الداخل فملابسك مبتلة تماماً
أخذته منه على مضض وقالت بتردد :
- اشعر بالعطش لشديد

ذهب عنه غضبه الذى كان يشعر به ونظر لها مشفقاً وتحرك على الفور وتقدم منها كثيراً وهو يقول بمرح:
- هل تستطيعين شرب ماء المطر
نظرت له بسذاجة وهى ترفع حاجبيها بعدم فهم فأبتسم ابتسامة كبيرة وهو يشير إلى الارض قائلا:
- أجلسى على ركبتيكِ
رفعت كتفيها وهى تحرك راسها ببراءة كالأطفال و تجلس على ركبتيها كما أمرها ووجدته أبتعد عنها خطوة واحدة وجمع كفيه مقرباً بينهما بشدة ويقوصهما حتى صنع منهما نصف دائرة وهو يمدهما فى الهواء وبدأت قطرات المطر تتجمع بين كفيه بكثرة فقال على الفور بلهجة مرحه:
- هيا ارفعى راسك لتشربى
فهمت ما يريد واقتربت براسها حتى اصبحت راسها اسفل كفيه وفغرت فاها وعندما أمتلأت كفيه بالمياه بدء يصبها فى فمها وهو يضحك وهى تشرب بابتسامة كبيرة وهى تغمض عينيها كالأطفال وهم يمرحون بالمياه وما ان تنتهى جرعة المياه فى كفيه حتى رفعها ويقوصها مرة أخرى حتى تمتلىء ثم يعيد صبها فى فمها مرة أخرى وهى تضحك ثم تسعل بشدة وتخفض راسها بين السعال والضحك ... وما أن هدأت حتى شعرت بديه تمسك بمرفقيها وتنهضها بحنان حتى نهضت واقفة أمامه فأخذها إلى الكوخ ليحميها من ماء المطر ووقف بها عند بابه وهو ينظر لها وقال بهدوء ومازالت ابتسامته الصغيرة المعاتبة عالقةً بشفاه :
- لماذا أخذتٍ "عنان" وتركتينا ورحلتٍ؟أين كنتٍ ستذهبين بدونى ؟
أشاحت بوجهها وقد تلاشت أبتسامتها وذابت على شفتيها وقالت بحزن:
- اريد أن أنام
مط شفتيه بإستياء وهو يستشعر صعوبة التعامل معها .. كم هى عنيدة تلك الفتاة ولا تفشى ما بداخلها بسهولة كم هى غامضة وتطوى مشاعرها بداخلها دائما ورغم سخطه وضيقه إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الإعجاب بها فالرجل دائما ما يشعر بالأنجذاب تجاه المرأة الغامضة التى تخفى أكثر مما تبدى.
أستسلم أخيرا واشار إلى باب الكوخ وهو يقول بهدوء:

- تفضلى .. ولكن لنا حديث فى وقت آخر
تقدمت للداخل واستدارت لتغلق الباب خلفها .. ثم قالت بتلعثم ونبرات خائفة:
- هل من الممكن أن يبحث اللصوص عنى مرة أخرى
عقد ذراعيه فوق صدره وهو يقف أمامها خارج الكوخ والمطر يهطل مرتطماً بجسده ثم قال بنبرة جادة قاطعة:
- أغلقى الباب وأطمئنى فلن يستطيع أحد فتحه أوالوصول إليكِ إلا وانا جثةِ هامدة
أغلقت الباب خلفها وهى ترتعد خوفها وترقباً .. لاتعلم حتى الان ماهو مصيرها ولم تستطيع أن تفسر ما رأته وجعلها تغضب وتتركه وتذهب بعيداحتى وجدها اللصوص .. كل ما تستطيع تفسيره أن المستقبل مبهم تماماً فهاهى تنام فى كوخ خشبى وتتوسد وشاحه وهو ينام فى الخارج ينتظرها فماذا ستقول له وكيف سيفسر هو غضبها مما رأت .. لابد أنه سيفهم ما يدور بقلبها .. زفرت بقوة وهى تغمض عينيها محاولةً أن تؤجل كل تلك التساؤلات حتى تستيقظ فهى تتضور نوماً كما تتضور جوعاً تماماً ... أما "جاسر" فلقد أخذ بلجام "عنان " وجسور" أسفل بعض الشجر الضخم ليحميهم من البرد والمطر على قدر استطاعته ثم عاد إلى باب الكوخ وافترش الارض امامه مستنداً بظهره إليه مُنصباً نفسه حارثاً لها لن يستطيع أحد الوصول إليها إلا من خلال جثته كما قال لها .. أغمض عينيه فى أرهاق شديد ويدور بخلده تساؤلات عاصفه أبرزهم .. لماذا رحلت وتركته اين كانت تظن نفسها ذاهبةً بعيداً عنه ولماذ لم تسأل عن "مودة" حتى الان ؟!!

الفصل الحادى عشر

رغم إنهاكها الشديد واستغراقها فى نوم طويل إلا أنها استيقظت عندما تسللت إلى أنفها رائحة الشواء اللذيذة .. إعتدلت جالسة وهى تتنفس بعمق للتتأكد من تلك الرائحة ثم

نهضت على الفور وإتجهت إلى باب الكوخ وفتحته وهى تشرأب بعنقها خارجه تبحث عن مصدرتلك الرائحة حتى سمعته يقول بصوت مرح :

- كنتُ أعلم أن رائحة الشواء ستوقظكِ

إلتفتت إلى مصدر الصوت فوجدته بجانب الكوخ وقد أشعل ناراً حطبيه على جانبها قائمتين خشبيتين معلقاً بهما غزالاً صغيراً يدور فوق النار وقد أوشك على النضوج إقتربت منه وجلست أمامه وهى تنظر للغزال بشهية كبيرة ومعدتها تستغيث بها أن ترحمها وتقذف بها بعضاً منه .. إبتسم وهو يخطف نظرة إليها قائلاً:

- ها هو قد نضج سريعاً

ثم أمسك خنجره وقطع جزءاً منه ومد يده لها به فتناولته منه بأطراف اصابعها وقمت منه قطعة صغيرة بتلذذ كبير ثم قالت وهى تمسح شفتاها بلسانها :

- كيف استطعت صيده أنه سريع جدا ؟

نظر لها نظرة جانبية وقال :

- وهل تظنى أنى تسابقت معه !! .. لقد أوقعته بسهم من سهامى

رفعت حاجبيها وهى تقول بشفقة مصطنعة:

- أيها المتوحش

أبتسم وهو يجيبها قائلاً:

- إذن فلا تأكليه أيتها الجائعة

قال كلمته وقضم قضمة كبيرة من قطعة بين يديه ونظر لها وهى تأكل بنهم غير مبالية بوجوده وإستطرد متابعاً :

- ذكرينى فيما بعد أن أعلمك الرماية على الأهداف المتحركة

ابتلعت الطعام وهى تومىء برأسها موافقةً بينما صمت هو حتى أنهيا طعامهما .. نفضت "ياسمينا " أصابعها وهى تقول ببراءة:

- أنا عطشة للغاية

نهض "جاسر" واقفاً وحمل قربة مياه صغيرة من فوق ظهر جواده وقربه منها قائلا:

- تفضلى

نظرت إلى القربة ثم نظرت إليه بشك وهى تقول مستفهمة:

- لماذا اذن جعلتنى اشرب من مياه المطر ؟!

أبتسم قائلا وهو يرفع كتفيه بشكل تقليدى:

- لسببين .. الأول أن جروحك لم تلتئم بعد ومياه المطر تساعد على شفاء بعض الأسقام أما الثانى فلقد أحببت أن تجربيها بنفسك فهى تجربة جديده عليكِ تماماً

شربت قليلاً من الماء ثم نهضت ووقفت أمامه قائلة بتحدى :

- كيف علمت أنى لم اشرب مياه المطر من قبل ؟
استدار وتوجه إلى جواده وقال وهو يعلق القربة بسرجه :
- توقعت ذلك
توجهت نحوه بغضب شديد ووقفت بجانبه وهى تهتف بإنفعال وتلوح بيديها:
- لماذا تسخر مني دائماً هل تظن أنى لا أعلم بعلاقتك بـ "مودة" ؟
أستدار بوجهه إليها فى صمت متزن ينظر إليها وتمتم قائلا:
- ماذا تعنين؟
دفعته بيدها دفعة لم تؤثر به ولم يتحرك على أثرها وصاحت بغضب هادر :
- لا تسخر مني أكثر من هذا أنا أعرف كل شىء .. لقد رأيتك وأنت تُقبلها فى الظلام بعيداً عنى وكنتما تعتقدان أنى فاقدة للوعى ولكنى رأيت كل شىء بعيني
ثم لوحت بإبهامها فى وجهه وهى تقول بحدة :
- هل تستطيع أن تُكذب عينيى .. الآن فقد أدركت لماذا أهديتها عقد الريحان
عقد بين حاجبيه وهو يقول بجمود:
- غير معقول .. ألهذا رحلتى وحدك ؟!!
هتفت بغضب ساخرة وهى تنظر له بتحدى :
- وماذا كنت تريد .. هل أبقى معكما لاقطع عليكما لحظات الهُيام الخاصة
ثم استدارت وهى تعقد يديها فوق صدرها قائلة بإنفعال:
- أحببت أن أترك لكما حرية العشق فلا داعى لأن تتوارى بعد الآن أيها العاشق ولكن أين هى محبوبتك هل تخليت عنها أم هناك أمراً آخر أجهله
لم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر من هذا وكُسر الجمود المرسوم على وجهه ليرسم بحطامه ابتسامة كبيرة على ثغره وهو يرفع حاجبيه مندهشاً وخرج صوته مختلجاً من فرط خفقان قلبه وهو يقول مراوغاً:
- ولكنها تكبُرنى سناً بكثير يا "ياسمينا"
مطت شفتاها بإستنكار وهى تقول ساخرة:
- من الواضح أنك تهوى هذا النوع من النساء
أطرق برأسه إلى الاسفل وقد أتسعت ابتسامته وهو يتمتم بصوت مسموع:
- هل جازفتى بحياتك وخرجتى إلى الغابة وحدك من أجل هذا ؟
زفرت بقوة وقالت على الفور:
- دعنا من هذا الأمر فهو لا يعنينى فى شىء .. ما يعنينى الآن هو أن أفهم ما يدور حولى وأنت قد وعدتنى من قبل أنك ستقص علي كل شىء
عقد ذراعيه فوق صدره وهو يتفرس ملامحها عن قرب قائلا :

- من الواضح أنه لا يعنيكى حقاً يا أميرتى
ابتلعت ريقها بصعوبة وتركته وإتجهت إلى مُهرتها وإستندت إليها بمرفقها وهى تقول فى كبرياء :
- هل سنظل هنا أم ماذا ؟
ابتسم متعجباً وهو يهز رأسه يمينا ويساراً ثم قال وهو يشير إليها أن تعتلى صهوة جوادها :
- لا .. هيا بنا .. سأقص عليكٍ كل شىء فى طريقنا إلى هناك
إعتلت صهوة جوادها وإلتفتت إليه بشموخ متسائلة:
- إلى أين ؟
ضحك مُداعباً وركل بطن "جسور "بخفة وهو يقول :
- إلى حيث محبوبتى
سارت "عنان" تابعةً لـ "جسور" تكاد تحترق من إشتعال قلب أميرتها فوقها وتوهج حنقها وغضبها عليه حتى صارت بمحاذاته تماماً وهو يشق طريقاً يعرفه جيداً بهدوء ورويه ثم تنفس بعمق وملأ صدره بالهواء العليل قائلا:
- اسمعينى فقط .. سأسرد عليكٍ ما حدث منذ عشر سنوات أو أكثر بقليل فلا تقاطعينى حتى أنتهى تماماً
عاد الفضول يتسلل إليها من جديد فأومأت برأسها موافقة وهى تنصت إليه بتركيز شديد فبدء فى الحديث قائلاً :
- منذ سنوات طويله كانت مملكتنا تعانى من بطش ملك ظالم استبد بالحكم سنوات طويلة وعم فى فترة حكمه للبلاد الفساد والظلم والقتل ونهب الحقوق وغيره من كل ما تتخيليه من موبقات ولم يكن يسمع الناس أى أعتراض على ذلك من قائد الجيوش أو قائد الشرطة وكان الجميع راضى بما يحدث فى البلاد بل كانت الشرطة تساعده على بطشه وتتجبر على الناس وتنتهك الحقوق والأموال والأجساد وكل ما يصل إليه أيديهم ومنذ عشر سنوات تقريباً لم يستطع بعض الشباب والفتيان تحمل كل هذا الظلم والبغى فنهضوا جميعاً وإجتمعوا للإطاحة بهذا الحاكم الظالم وبالفعل تمكنوا من ذلك ولكنهم أخطأوا خطأً كبيراً جدا تسبب فى ما نحن فيه الآن
إلتفتت إليه "ياسمينا" متسائلة فتابع قائلا:
- قبل أن يرحل ذاك الحاكم الظالم جعل الحكم والمملكة فى يد قائد الجيوش وأتباعه ولم ينتبه أحد إلى هذا الخطأ القاتل وعاد الجميع إلى منازلهم وهم يظنون أنهم إنتصروا وأطاحوا بالحاكم الظالم وإنتهى الأمر
هتفت "ياسمينا" على الفور:

- معنى ذلك أنهم أطاحوا بالرأس فقط ؟ وتركوا الجسد يعيث فى البلاد فسادا كما كان ؟
هز "جاسر" راسه نفياً وقال:
- لم يكن الحاكم هو الرأس وحده يا "ياسمينا" لقد كانت هناك رؤوس كثيرة والإطاحة كانت لرأس الحاكم فقط أما البقية فقط بقى كل منهم فى مكانه يعيث فسادا ويستبد ويظلم وينتهك حقوق الناس

أومأت "ياسمينا" برأسها وقد فهمت مقصده وقالت :
- ولماذا لم يبدى أحداً إعتراضه على تولى قائد الجيوش الحكم وهم يعلمون أنه أحد أذرع الحاكم الظالم ؟
ابتسم "جاسر" لفطنتها وقال:
- لأنه قائد الجيوش وقتها قد خدع الجميع يا "ياسمينا" وقال أن الحاكم قد طلب منه أن يقتل الشباب والفتيان ولكنه رفض .. ومع الأسف لقد صدقه الجميع إلا واحداً فقط
" صارم الحكيم "
ألتفتت إليه "ياسمينا" وهى تقول منتبه:
- لقد استمعت إلى هذا الاسم من قبل ولكن لا أذكر ماذا قيل عنه وقتها .. من هو "صارم "
استطرد "جاسر" فى حديثه قائلا:
- "صارم" هو الوحيد الذى فطن إلى تلك الخدعة وتحدث كثيراً وطلب من الجميع عدم العودة إلى منازلهم ولكنهم لم يستمعوا له وتم تسليم المملكة إلى قائد الجيوش ومعه وزير الوزراء " الشفيق" الذى عينه الحاكم الظالم قبل الإطاحة به بأيام .. وعادت المملكة كما كانت لا فرق بين الماضى والحاضر سوى عدم وجود الحاكم فى الصورة فقط ..
هزت "ياسمينا" رأسها تحثه على الإستمرار فى الحديث فنظر لها نظرة سريعة ثم تابع حديثه قائلا:
- بعد مرور عدة شهور شعر هؤلاء الفتيان بمدى الخدعة التى تعرضوا لها وبدأوا فى الإعتراض من جديد وطالبوا قائد الجيوش بعزل وزير الوزراء "الشفيق" لأنه رجل من رجال الحاكم الظالم وبعد عدة مناوشات تم عزله عن منصبه وبعد شهور أخرى حدثت حوادث الإبادة والقتل والسحل من جنود الشرطة وجنود الجيش معاً حتى أنه لم يسلم من القتل والسحل الفتيات والنساء أيضاً
شهقت "ياسمينا" وهى تضع يدها على فمها وقالت ملتاعة:
- الفتيات والنساء !!
أوما برأسه مؤكداً وقال:

- نعم يا "ياسمينا" الفتيات والنساء وبعد ذلك أيقن هؤلاء الشباب أن قائد الجيوش خدعهم وأنه لم يقتلهم فى المرة الأولى ليس حباً لهم ولا خوفاً عليهم وإنما أراد الأمر لنفسه ..

أراد أن يخدع الجميع ليتولى هو أمور البلاد ويظل الفساد والسرقة والاستبداد كما هو دون تدخل أحد من خارج منظومتهم .

أرسل زفرة طويلة عميقة وهو يتذكر تلك الأحداث المريرة وتابع :

- جمعتُ أصدقائى ومن اقتنعوا بفكر "صارم الحكيم " وكنا نتبعه ونتعلم منه كل شىء ونسجل كل كلمة قالها وننقشها بداخلنا وهو لم يبخل علينا بشىء أبداً وكان يطلعنا على مجريات الأمور وما سيحدث مستقبلاً – طبقا لتوقعاته التي لم تخطأ أبدا - .. وبدء كل من يرى نفسه يستطيع أن يحكم البلاد والمملكة يُعلن عن نفسه وإنتهى الأمر بين "الصالح" و"الشفيق"

ضحكت "ياسمينا" رغماً عنها وقالت ساخرة:

- لابد أنك تمزح .. هل حقاً تقصد "الشفيق" وزير وزراء الحاكم الظالم أم شخصاً آخر؟

أوما برأسه مؤكداً وقال:

- بل هو يا "ياسمينا" وزير وزراء الحاكم الظالم كان يريد حكم البلاد ولكن لا تتعجبى هكذا بل إنتظرى حتى تعرفى رأى الناس حينها فيه

رفعت كتفيها بثقة وهى تقول:

- النتيجة واضحة جداً بالتأكيد رفضه الناس وربما يكونوا إعتقلوه أيضا

هز رأسه نفيا وهو يبتسم لبراءتها وقال :

- لقد كاد يفوز يا "ياسمينا" لولا أن الأكثرية كانت للـ " الصالح "

إلتفتت إليه بحدة غير مصدقة فأومأ برأسه مرة أخرى مردداً :

- الناس فى بلادنا تنسى سريعاً يا أميرتى والرواة والقصاصين المأجورين والمهرجين والبصاصين وأصحاب المصالح غيروا الحقائق تماماً وهم كُثر فلا تستهينى بهم ولا بعددهم أبدا ولقد كان لهذا العدد فرصة أخرى للإطاحة بالملك "الصالح " بعد سنة من توليه حكم المملكة

قالت متسائلة :

- وكيف ذلك ؟

استطرد قائلا:

- سأروى لكِ كيف ذلك لاحقاً .. دعينا نتابع الآن الأحداث بترتيبها كما هى

وزفر بقوة ثم تابع حديثه قائلا:

- وبعد جهد جهيد إجتمع الناس على تنصيب الملك "الصالح" حاكماً للبلاد بمحض إرادتهم وبكامل حرياتهم ..

حركت "ياسمينا" وهى تتوقع ما حدث بعد ذلك وتقول بثقة :

- نعم نعم توقعت ما حدث .. لقد أطاح الملك " الصالح " على الفور بقائد الجيوش وقائد الشرطة والحرس وجميع المسؤلين فى المملكة التابعين للحاكم السابق

أبتسم وهو يحرك رأسه نفياً مجيباً:

- لا .. لم يحدث هذا على الفور ولقد كان هذا هو خطأ الملك "الصالح" لقد تركهم عدة أشهر ظناً منه أنهم سيعودون إلى رشدهم ولم يفطن لما فطن إليه "صارم الحكيم " وعندما بدء يشعر بالخطر وبأنهم لن يعودوا أبداً أطاح بقائد الجيوش ولكن بعد فوات الآوان فلقد عمل المهرجين والحثالة وقطاع الطرق ومن كانت لهم مصالح مع الحاكم الظالم على إفساد كل شيء يحاول "الصالح " فعله لصالح المملكه ..

وبعد ذلك إرتكب الملك "الصالح" الخطا الثانى لقد ظن خيراً فى أحدهم رغم أنه كان قائد البصاصين وكان تلميذا وتابعاً لقائد الجيوش السابق ولكنه وثق به وولاه منصب قائد الجيوش

قالت "ياسمينا" متسائلة:

- ومن هذا الرجل؟

ألتفت "جاسر إليها ونظر إليها نظرة عميقة قائلا:

- "سيسيان الأكبر"

عقدت حاجبيها وتنفست بسرعة أكبر وهى تردد:

- "سيسيان الأكبر" ؟!!!

عند هذه النقطة شعر "جاسر" أن "ياسمينا" ستستمع إليه من وجهة نظر أخرى وستشعر انه يلمس جزءاً من حياة والدها وأخيها وستتساءل عن كل تفصيله قادمه فأعد نفسه لذلك فى صبر وهدوء واستدرك قائلا:

- تولى "سيسيان الأكبر " قيادة الجيوش من بعد الإطاحة بُمعلمه وأستاذه والذى كان أعد لهم كل شيء قبل أن يتركهم ويرحل ليسيروا على دربه وما كان يخطط له سابقاً .. وبدء "سيسيان الأكبر" فى الظهور بمظهر الرجل الصادق الخجول الحنون والعاطفى ..

قال كلمته تلك وابتسم عندما تذكر "صارم الحيكم " ثم تابع قائلا:

- لقد وثق به الملك "الصالح" بشدة ولم يكن يتكلم عنه إلا بالخير بل أنه غضب وحزن عندما ذكره "صارم "بغير ما يحب واتهمه أنه سيسعى للإطاحة بالملك "الصالح" فيما بعد ولكن "صارم " ظل على موقفه من "سيسيان الأكبر" وظل يردد عنه نفس الكلمات ويحذر منه بشدة .. وإشتعلت بعدها المؤامرات وإجتمع أصحاب المصالح على إفشال

الملك " الصالح" وزيفوا الحقائق أمام عامة الشعب حتى إقتنع معظمهم بفشله حتى قبل أن يبدأ فى عمله كحاكم للمملكة

قاطعته "ياسمينا" بهدوء وتركيز شديد قائلة:

- وكيف يقتنع الناس بفشله وهو لم يمكث بينهم سوى عام واحد وقد سبقه سنوات طويلة من الفساد ؟!

ثم ابتسمت وقالت متهكمة :

- المرأة تحتاج تلك السنة وأكثر منها لأنقاص وزنها فقط

ابتسم "جاسر" ابتسامة كبيرة لذلك التشبيه واستطرد متابعاً:

- وهنا جاء دور العدد الذى سألتى عنه سابقاً .. العدد الكبير الذى تحطمت آماله فى تنصيب " الشفيق " حاكماً للبلاد .. وإجتمع حولهم جنود الشرطة والجيش في لباس العوام من الشعب ومن حولهم من هم ليسوا على ديننا وخرجوا جميعاً لعزل الملك " الصالح"

حثته على الحديث سريعاً وقالت فى الحال:

- وماذا فعل "الصالح" حينها؟

- وماذا عساه يفعل وهو مُحاصر بالسلاح والجنود ومُطالب بأن يخرج إلى الساحة ويقول أنه إعتزل من تلقاء نفسه .. لقد خرج فعلا إلى الساحة وهو يعلم جيداً أن الابراج حول القصر على كل برج منها سهم موجه إلى قلبه ومُهدد إن لم يقل ما يريده "سيسيان الاكبر" فسوف يُقتل فى الحال ولكنه أصر على قول ما يراه حقاً

هتفت "ياسمينا " بتوتر:

- قتلوه ؟ !

هز رأسه نفيا وقال :

- لا بل إعتقلوه وزُج به فى السجن .. ثم خرج "سيسيان الأكبر" إلى الساحة معلناً الإطاحة بالـ" الصالح "

وألقى إليها نظرة خاطفة وهو يقول ببطء:

- وقام بتنصيب قاضى القضاة منصب حاكم المملكة

ابتلعت "ياسمينا" ريقها بصعوبة وقد تذكرت عندما قال لها "جاسر" ان أباها كان قاضى القضاة فى الماضى وقالت بتردد كبير وترقب:

- تقصد ؟

مط شفتيه وهو ينظر لها مشفقاً وقال :

- نعم .. إنه "المنصور" والدك

نظرت له بحدة وهتفت :

- غير معقول .. والدى أنا شارك فى هذا الظلم لا أصدق
نظرت أمامها فى شرود ثم عادت إليه بحدة أكبر هاتفه :
- إن كان ما تقوله صحيح فلماذا لم يتولى "سيسيان الأكبر" أمور البلاد حينها كما كان يرجو لماذا إحتاج إلى والدى ونصبه حاكماً
لم تغادره النظرة المشفقة إليها وهو يقول مجيباً:
- لقد كان سيفعل ولقد كان الطريق مفتوحاً أمامه لذلك لولا أنه .. مات
زاغت نظراتها فى حيرة وهى تقول:
- مات .. كيف ذلك ؟!
ركل "جسور" ببطنه ليسير بخطوة أسرع مما هو عليه وتبعته" عنان " وقد صمت قليلاً وهى تنتظره ليتابع على أحر من الجمر وأخيراً تحدث مستطرداً:
- بعد ما تم تنصيب والدك حاكماً للبلاد أصدر "سيسيان الاكبر" أوامره لجنوده بقتل كل من يتحدث أو يعترض على تلك القرارات وبالفعل صارت مقتلة عظيمة كالنار فى الهشيم وإمتلات السجون عن آخرها لكل من يعترض أو حتى يتعاطف مع "الصالح" أو أحداً ممن يُقتلوا كل يوم فى المملكة
ولقد كان لتلك الأوامر صداها المرجو منها .. لقد لاذ الجميع بالصمت وآثروا السلامة خافوا على أنفسهم ونسائهم وأطفالهم وأرزاقهم ورضوا بما حدث كأمر واقع ولم يتبقى سوى "صارم" فقط ولذلك صدرت الأوامر بقتله فى الحال هو ومن معه وبأى ثمن ..
واستطعنا فى ذلك الحين أن نُقنع "صارم" بالتخفى والإبتعاد قليلاً وابتعدنا معه بعيداً عن أعين جنود "سيسيان الاكبر" .. ومن الجانب الآخر هلل وفرح كل من خرج ضد "الصالح" هم وكل من لوُثت عقولهم بالأكاذيب والتزيف و هم يتصوروا أن الأمور ستتحسن وسيعيشون فى رغد وأن "سيسيان الاكبر" سيضع لهم جنة السماء على الأرض ولكن ما حدث كان على العكس تماماً
ملأ رئتيه بكثير من الهواء وهى تنظر إليه متوجسة تنتظره وعندما طال صمته قالت بجمود:
- وهل كنت ممن هربوا مع "صارم "
إلتفت إليها وهو يومىء برأسه قائلا:
- نعم .. لقد كنت فتى فى التاسعة عشر من عمرى حينها ولقد قُتل أبواى على يد جند " سيسيان الأكبر" ولم يتبقى لى سوى أستاذى "صارم الحكيم" ومُربيتى العزيزة " مودة" ولكنها رفضت أن تأتى معى وأصرت أن تبقى بجوارك يا "ياسمينا"
تنبهت جميع حواسها وهى تنظر إليه بعمق تكاد تخترقه بنظراتها وهى تردد بصوت مضطرب:

- "مودة" .. مُربيتُك !!
ارتسمت ابتسامة مرحه على ثغره وهو ينظر أمامه متجاهل النظر إليها ويقول :
- نعم .. مُربيتى التى رأيتينى أقبلها فى الظلام
قالت متلعثمة:
- ولكنى رأيتك وأنت..
قاطعها على الفور:
- لم أقبل سوى جبهتها يا أميرتى وأنا أودعها لتلحق بالـ"الصارم" ولكن الغيرة أعمتك
ابتلعت ريقها بصعوبة وخفق قلبها بين ضلوعها بقوة وهتفت بحدة يغلفها الخجل من كل جوانبها :
- لا تتوهم ذلك أيها المغرور وهيا تابع السرد .. وماذا حدث بعد ذلك ؟
كاد "جاسر" أن يستأنف السير والحديث معاً إلا أن عينيه المُدربتين وقعتا على عظام بعض العظام المُتناثرة هنا وهناك .. حبس أنفاسه وأشار لها أن تصمت وترجل من فوق حصانه ليتأكد من الأمر بنفسه عن قرب .. إقترب "جاسر " من العظام يتأملها ولم يحتاج الأمر إلى كثير من الفطنه والذكاء .. إنها عظام آدميه .. وفى تلك اللحظه تنبهت حواسه جميعاً وأرهف سمعه جيداً فقد شعر أن هناك من يقترب منهما بهدوء وروية وفجأة سمع صهيل "عنان" الفزع وهى ترفع مقدمة قوائمها بعنف وخوف شديد لتسقط "ياسمينا" من فوقها وترتطم بالأرض بقوة وهى تشهق من وقع المفاجأة والآلم الذى شعرت به من أثر السقطة وتستدير لتجد "عنان" تنطلق مهرولة بسرعة كبيرة بينما لحقها "جسور" ليعيدها مرة أخرى واقترب "جاسر" منها بلهفة وإضطراب لينهضها ولكنه رأى ما كان يخشاه ويتوقعه فى نفس اللحظة وبمجرد أن ساعدها على النهوض لمح دائرة من العيون اللامعة فى الظلام تُحيط بهم من كل أتجاه وسمع صوت زئير أنثوى يقترب فشهقت "ياسمينا" مرة أخرى فزعة وتعلقت به فأحاط جسدها بذراعه ليبثها بعض الآمان الزائف ويده الأخرى تحركت سريعاً وتستل سيفه بسرعة كبيرة وبرقت العيون الشرسة الغاضبة مرة أخرى وهى تقترب فى تحفز وهى تستعد للإنقضاض وتمنى نفسها بعشاء لذيذ وأمسية رائعة ..
وبحسبة بسيطة ومع رؤيته عدد اللبؤات التى تُحيط بهما توقع "جاسر" أن تحدث خسائر ولكن "ياسمينا" دونها حياته .. سيقاتل منافحاً عنها بكل ما أوتى من قوة ومهارة فى قتال الحيوانات الضارية وكل ما كان يتمناه فى تلك اللحظة أن تكتفى اللبؤات به بعد قتله ولا تلتفت إليها ...
ولكنه فوجىء بتحرك "ياسمينا" فى تلك اللحظة وهى تنتزع السهم والقوس من خلف ظهره وتتمتم مرتجفة :

- لم أتعلم الرماية لأموت مستسلمة هكذا الأمر يستحق المحاولة
أنهت عبارتها ووقفت خلفه وأسندت ظهرها إلى ظهره وفى اللحظة التى سددت فيها سهمها الأول بإتجاه اللبوءة التى أمامها مباشرة قفزت أخرى بإتجاه "جاسر" وفى اللحظة التى استقر فيها سهم "ياسمينا" بين عينيى هدفها تماماً استقرت طعنة "جاسر" فى عنق الهدف الآخر وعندما وقعت الجثتين أمام أعين صديقاتها ليعلو زئيرهن الغاضب وعلمت اللبوءات بفطرتها أن الكثرة ستغلب الشجاعة .
وفى لحظة واحدة إنقضضن عليهما بغضب ولم يكن الأمر يحتاج إلى كثير جهد فالنهاية محسومة .. لولا عاصفة مفاجأة تحركت بإتجاههما بدون مقدمات أطاحت بالجميع واستطاع "جاسر" أن يتمسك بـ" ياسمينا" بقوة وهى تقبض على ذراعه بإنزعاج وعيون حائرة .. لم تكن الحيرة فى عينيى "ياسمينا" فقط وإنما أيضا إنطلقت بقوة من عينيى "جاسر" فبرغم وجوده فى الغابة ومعرفته بسبلها إلا أنه لأول مرة يرى عاصفة مفاجأة كهذه .. حاول التشبث بفروع أحد الأغصان ولكن العاصفة كانت قوية بحق إنتزعته هو و "ياسمينا" فى آن واحد وقذفت بهما بعيداً
وفجأة أظلم كل شىء ولمع نور الشمس وسمع "جاسر" و"ياسمينا" أصوات هادرة تهتف بعزم وإصرار وبلهجة غريبة عليهما بعض الشىء :
- يسقط يسقط حكم العسكر ... أيوا بنهتف ضد العسكر .. إحنا الشعب الخط الأحمر ..!!

الفصل الثانى عشر

أختناق شديد كأنها تخرج من فوهة زجاجة عظامها تكاد تتحطم رأسها ثم كتفيها ثم خصرها وقدميها وروحها تهدد بالإنسحاب إنقطع الهواء والتنفس ثم سقوط بقوة على أرض صلبة .. لهيب الشمس يسطع وخطوطه الذهبية تلمع وأشعتها الحارقة تضرب الرؤوس وتُلهب العيون شباب وفتيات يتسابقون ويهرولون .. أصوات عالية ..أبواق سيارات ودخان حارق وحجارة تندفع بإصرار وقوة ويد تجذبها وتهرول بها بعيداً ..
أسرعت "ياسمينا" خلف من يجرها ويجرى بها مترنحة لا تعرف أين هى ولا من هؤلاء وأين "جاسر" .. أين أنت يا "جاسر" وجدت نفسها تصرخ وهى تكاد تسقط :

- "جاااسر"
توقف الرجل الذى كان يقودها وإلتفت وجدها تتعثر وتسقط .. حملها بين ذراعيه وهو يسرع بإتجاه آخر الإتجاه الذى كان الجميع يجرى بإتجاهه .. بدأت "ياسمينا" تستعيد الوعى وسط هتافات وصرخات من حولها وشعر الرجل بحركتها فتوقف قليلاً وأنزلها وهو ينظر إليها بتمعن يريد أن يطمئن عليها .. نظرت إليه ببلاهة وهى تتفحصه وتُمسك برأسها وعينيها تدور وهى تشعر بدوار شديد من أثر الصدمة والذهول .. لم ينتظرها كثيراً كان التوقف فيه خطر شديد عليهما وأصوات تناديهما صارخة :
- إستخبوا ورا أى حاجة .. خرطوش ورصاص

سحبها الرجل مرة أخرى وأسرع بها خلف أحد الحواجز الصلبة ووضع يده على رأسها ويجذبها للأسفل لتنبطح معه ويرتطم الرصاص والخرطوش فى الحاجز الصلب فى نفس اللحظة .. شعرت بإختناق وأنهمرت عبراتها رغماً عنها تأثراً برائحة الدخان .. ألقيت عليهما زجاجة بها مادة شفافة كالمياة وسمعت رجلا يهتف بمن معها:
- إغسل عنيها بالخل علشان الدخان
ثم شعرت بشىء بارد يوضع على وجهها وشعرت بعدها بتحسن فى التنفس والرؤية قليلاً ولكن سعالها كان متواصل وشعرت بتشنج بسيط يغزو أطرافها .. شاهدت رجلين يحملان فتى بين يديهما المخضبة بدمائه وصرخة إنطلقت من مكان قريب إلتفتت على أثرها لتجد شاب صغير يضع يده على عينه والدماء تنزف منها بكثرة وهو ملقى على الأرض بلا حراك وأصدقائه يهرولون تجاهه يحاولون حمله لأى مكان آمن لاسعافه

إزدادت الصرخات وإزداد **نزيف الدماء الطاهرة** من الأعين مباشرة والبعض يسقط وقد فقد إحدى عينيه والبعض الآخر قد فقد حياته بالكلية ..

زاد التشنج لديها وبدأت تصرخ بإنهيار شديد وتبكى جزعاً وخوفاً وذهولا كادت أن تفقد الوعى لولا أنه جذبها من مرفقها بشدة وهو يهتف بها:

- "ياسمينا " فوقى حاولى تقومى لازم نخرج من هنا حالا

إلتفتت إليه بذهول ودهشة وصمت وهو يقبع بجوارها خلف الحاجز الصلب ويدعوها للتماسك فقال على الفور هاتفاً :

- مش وقت ذهول خالص على فكره ومش وقت أسئلة حاولى تتماسكى لحد ما نخرج من هنا

ابتلعت ريقها وهى مازالت على صدمتها ودهشتها مما جعله ينهض وهو مازال منحنيا لتفادى الرصاصات وهو يجذبها بقوة ليهرولا من جديد بإتجاه آخر مبتعداً بها عن الخطر وأخيراً استطاعت النطق وكأن لسانها تحرر مرة أخرى وقالت صارخة :

- أين نحن يا "جاسر" ولماذا نرتدى هذه الملابس ولماذا تتكلم بتلك اللهجة الغريبة

أجابها بأنفاس لاهثة:

- مش عارف يا "ياسمينا" صدقينى مش عارف كل اللى أعرفه إننا فى مصر نوفمبر سنة 2011

وما أن إقتربا من ميدان كبير وفسيح جدا حتى توقفا وهما يرون مناظر أبشع مما رأوا سابقاً ..

رجال بملابس عسكرية يسحلون فتاة من شعرها

http://www.youtube.com/watch?v=XoM8u0QCmSk

وآخرون يسحبون جثث رجال ويلقوا بها بجوار مكان للقمامة

http://www.youtube.com/watch?v=txRujAD06Uc

كان الجرى والصرخات هو سيد الموقف ولكنهما توقفا مكانهما لا يعلما إلى أى أتجاه يركضان ولكنهما ركضا بقوة وبشكل عشوائى وكأنهما يلتهمان الأرض إلتهاما تحيط بهم لوحات من القماش كبيرة معلقة فى كل مكان مكتوبة بالخط العربي "يسقط حكم العسكر"

"المجلس العسكرى يقود الثورة المضادة "

" جمعة المطلب الواحد .. تسليم السلطة لرئيس مدنى منتخب "

دارت بهما الأرض مرة أخرى وأظلمت وشعرا بإختناق وعاد إليهما نفس الإحساس السابق عظام جسدهما تتهالك وتُضغط بقوة وكأنهما يخرجان من عنق الزجاجة وأنفاسهما تتلاحق وفجأة سقوط مرة أخرى على أرض صلبة والشمس تلفح وجهيهما بقوة .. نهض "جاسر" واقفاً وهو يلهث بشدة ووجد يده لازالت تحتضن كف "ياسمينا" وهى ملقاة على الأرض وتحاول أن تستند إلى يدها الأخرى لتنهض خلفة بصعوبة .. ومرة أخرى صراخ وهرولة وهتافات "يسقط يسقط حكم العسكر" ..

جذبها مرة أخرى وهو يحيط كتفها بذراعه ويساعدها على الرئض وهى تصرخ بوهن :

- أين نحن الآن يا "جاسر" ألم تنتهى هذه المحنة بعد

وجد "جاسر" الكلمات تقفز على لسانه دون أن يشعر ووجد نفسه يقول :

- إحنا لسه فى مصر ديسمبر 2011

قابلت كلماته بصرخات مطوله فنظر إليها فزعاً فوجدها ترتجف وتشير إلى بقعة ما قريبة منهما نسبياً إلتفت ليرى فوجد رجال أخرون يرتدون ايضا الملابس العسكرية ويسحبون فتاة وقد أنكشفت ملابسها عنها وتعرت بشدة حتى ظهرت ملابسها الداخلية الخاصة ولكنهم لم يرحموها بل زادوها سحلا وضرباً بأقدامهم

http://www.youtube.com/watch?v=KjHO3CjBsgs

وشاب آخر ملقى قريباً منها يضربونه بعنف ثم يقفزون عليهم بأرجلهم وأحذيتهم الثقيلة ..

وفتيات أخرى تُجذب من شعرها وتضرب بعصا غليظة

خاف على "ياسمينا" بشدة وأسرع بها بعيداً مرة أخرى وهى ترفض وتصرخ بهلع ومتمسكةً بذراعه بقوة .. مادت الأرض بهم وكأنها تحولت من صلابتها إلى أرض رخوة وبدأوا ينزلقون بسرعة داخلها كأنها قررت أن تبتلعهم بداخلها ثم ظلام ولكن هذه المرة لم تظهر الشمس ولم يشعرا بأى دفىء لها وإنما رأوا أضواء كبيرة وكثيرة وكشافات ملونة تخطف الأبصار ..

أصوات موسيقى صاخبة رجال ونساء تعلو وجوههم الفرحة ورجال بملابس عسكرية ولكنهم لم يكونوا يفعلوا كما شاهدوا من قبل ..

لقد كانوا يحيطون بالجميع ويعملون على حمايتهم وبعضهم يرقص والبعض الآخر يوزع الحلوى والعصائر على الناس

دارت أعينهما فى المكان الصاخب وتعرف عليه "جاسر" سريعاً عندما رأى الافتة الكبيرة مرة أخرى " ميدان التحرير " .. عقدت "ياسمينا" حاجبيها بقوة فى دهشة وهى تنظر حولها متمسكةً بـ"جاسر" بترقب وقالت بهدوء وبصوت مرتعش:

- "جاسر" أين وصلنا ؟!! و لماذا هؤلاء الرجال الذين يرتدون الزى العسكرى يرقصون بينهم ويوزعون عليهم الحلوى والعصائر وتعلو وجوههم بشاشة وغرور ألم يقتلوهم من قبل كما رأينا

هز "جاسر" رأسه نفياً وهو يقول بأسف:

- لا يا "ياسمينا" مش دول اللى كانوا بيضربوا فيهم قبل كده .. ماهو بالعقل كده لو كانت الناس دى هى اللى إتسحلت وإضربت منهم قبل كده يبقى إزاي هيقبلوا يشيلوهم على أكتافهم زى ما أنتى شايفة كده دلوقتى

وقبل أن تجيبه سمعت صوت أخافها كثيراً نظرت على أثره للأعلى وفى السماء شاهدت حوامة تطوف حول الجميع ثم ترمى عليهم أعلام ملونة تشع ضوءا فسفورياً ..

تمسكت بـ "جاسر" وهى تقول متسائلة:

- ما هذا يا "جاسر"

ابتسم "جاسر" ساخراً وقال بشرود:

- هدايا يا "ياسمينا"

أنهى عبارته ثم إلتفت إليها وتناول كفها فى يده يطمئنها وجذبها بعيدا عندما وجد رجل يقف بجانبها ويقترب منها محاولاً التحرش بها وسط الصخب السائد فى المكان وهمس لها :

- لازم نخرج من هنا .. يالا

حاولا التحرك بهدوء وسط التجمعات والخروج على الأطرف شيئاً فشيئاً ولكن "ياسمينا" شعرت بيد تمسك بها وتستوقفها إلتفتت وتوقف" جاسر" لينظر ماذا حدث فوجد إمرأة تبتسم وهى تتحدث إلى "ياسمينا قائلة:

- إنتى شكلك مش مصرية صح ؟

أرتبكت "ياسمينا" وهى تنظر لها بحذر بينما تقدم "جاسر" ورسم على وجهه ابتسامة وهو يقول:
- ايوا فعلا مراتى مش مصرية بس جاية تحتفل
ابتسمت المرأة وأشارت إلى صدرها بفخر وهى تقدم نفسها قائلة:
- أنا هدى حرم سيادة العميد " ... "
ثم أشارت إلى أولادها وبناتها وبعض الفتيات والفتيان حولها وهى تقول:
- ودول أخواتى وولادى وقرايبى ممكن نتصور مع بعض صورة للذكرى علشان نعرف العالم كله إن مش المصريين بس اللى بيكرهوا حكم الإخوان ؟
قالت "ياسمينا" بإرتباك :
- أعتذر بشدة فانا مريضة جدا ولابد أن أنصرف فى الحال
نظرت لها المرأة بشىء من الريبه فتدخل "جاسر" على الفور قائلا وهو يجذب "ياسمينا" ويرحل بها:
- طيب عن إذنك
إستوقفتهم المرأة بهتاف وهى تنظر لهما بريبة وحذر:
- شكلكوا فيه حاجه غريبة أنتوا باين عليكوا تبع الأخوان
ما أن إنتهت من حديثها حتى إلتف الناس حولهما وهم يستعدون للفتك بهما حاول "جاسر" الهروب بها وسط التجمعات ولكن كلمة " إخوان " كانت تجعل الجميع يطاردهما ويسعى للنيل منهما وفجأة وجد "جاسر" يد تجذبه هو و"ياسمينا" لداخل مبنى كبير وإمرأة عجوز تهتف بهما:
- إدخلوا عندى بسرعة
قالت عبارتها وهى تجذبهما بداخل منزلها الصغير وتغلق الباب خلفهم على الفور .. أدخلتهما ثم اسرعت إلى الأضواء أغلقتها ثم توجهت إلى النافذة تنظر منها فوجدت أعدادا كبيرة يشيرون إلى العقار ففهمت أنهم شاهدوهما وهما يلجون بداخل البناية ولكنهم لم يستطيعوا تحديد إلى أى شقة توجهوا ولذلك سينتظروهما بالاسفل .. تنفست الصعداء وعادت إليهما بعد أن اضاءت بعض الأنوار الخفيفة واشارت إليهما بالجلوس .. وهى تطمئنهما قائلة:
- متخفوش أنتم هتفضلوا هنا عندى لحد ما المولد ده يتفض
جلست "ياسمينا" وهى مازالت متشبثة بذراع "جاسر" وقلبها ينبض بقوة خوفاً ودهشة مما يحدث حولها وأخذت تتفحص إلى كل شىء يحيط بها بما فيهم الاريكة التى تجلس عليها بعينين مذهولتين وخصيصا عندما شاهدت الاضاءة وبداخلها أكثر من ألف سؤال واستفسار ولكنها فى كل الأحوال لن تترك ذراع "جاسر" مهما حدث فهو الشخص الوحيد

الذى يربطها بعالمها .. عادت من تفحصها وشرودها وألتفتت إلى "جاسر" وهى تسمعه يتكلم بتلك اللهجة التى يتكلم بها الجميع فى هذا المكان وهو يتحدث إلى السيدة العجوز قائلا:

- أحنا متشكرين أوى وآسفين على الأزعاج والتوتر اللى عملناه

قالت العجوز بحبور:

- أزعاج ايه بس يابنى .. أنا عايشه هنا لوحدى تقريباً ومعنديش غير ابن واحد بس بره ليل ونهار اصله بيشتغل مصور وتقريبا كده مبيجيش إلا على النوم بس

وارتسمت على قسماتها التى حفر الزمن عليها بريشته الثقيلة علامات الحزن وهى تردف قائلة بخفوت:

- كان عندى بنت زى القمر الله يرحمها راحت فى ثورة 25 يناير

ظهرت علامات الأسى والحزن على وجه "جاسر" وهو يتناول كف "ياسمينا" وهو يقول للعجوز برفق:

- أحنا آسفين تانى لحضرتك وعموما يا فندم أول ما الدنيا تهدى شويه هاخد مراتى ونمشى من هنا على طول

نظرت له "ياسمينا" باستنكار بينما رفعت المرأة حاجبيها سخرية وهى تقول:

- تهدى ايه يابنى دول مش هيمشوا من هنا .. مستنين بيان المجلس العسكرى

وتنهدت بقوة وهى تشير إلى أحد الغرف قائلة:

- يالا يابنى خد مراتك وأدخلوا ريحوا جوى دى شكلها تعبان أوى ومتبهدله على الآخر

لم يكن هناك مجالاً للجدال أكثر من هذا لقد كانا مُتعبين جداً وبلغ منهما الإعياء مبلغه وخصوصاً "ياسمينا" التى تكاد تنهار وتسقط فى أية لحظة .. ظهرت الموافقة على وجهه فأخذتهما العجوز إلى غرفة صغيرة وأدخلتهما فيها وهى تقول بسعادة موجهة حديثها إلى "ياسمينا" :

- أنا هجيبلك حجات من هدوم بنتى الله يرحمها أنتى مقاسك قريب منها أوى متحمليش هم يا بنتى

قالت كلمتها الأخيرة وأغلقت الباب عليهما وتوجهت إلى غرفة ابنتها لتحضر الملابس لـ"ياسمينا" .. وبمجرد أن أغلقت الباب هتفت "ياسمينا" وهى تهوى جالسة على طرف الفراش :

- لماذ تقول انى زوجتك ماذا سنفعل الان ؟.. كيف تنام فى غرفة واحدة بجوارى ؟

جلس "جاسر" بجوارها مُهدئاً وأشار لها أن تخفض صوتها وقال:

- مكنش فى قدامى حل تانى أنا مش عارف هنخرج من هنا أزاى ولا هنرجع عالمنا أمتى

ارسلت تنهيدة حارقة زفر على اثرها وهو يقول مستطرداً:

- عموما متقلقيش بكره هتصرف وهنخرج من هنا بأى شكل
عقدت ذراعيها أما صدرها وهى تقول بياس وأحباط :
- ثم ماذا ؟
دفن راسه بين يديه وهو يقول بارهاق شديد:
- مش عارف يا "ياسمينا" مش عارف
وقبل ان تعترض سمعت طرقات المرأة على باب الغرفة ثم دلفت إليهما وتعلو وجهها ابتسامة مُرحبة وتحمل بعض الملابس على يديها قائلة:
- خدوا يا ولاد دى حاجات من هدوم ولادى والحمام جنب الأوضه أعتبروا نفسكوا فى بيتكوا وخدوا راحتكوا على ما أحضرلكم حاجه تاكلوها
وألقت عليهما ابتسامة أخرى وغادرت على الفور .. اشار "جاسر" إليها وقال بخفوت:
- يالا روحى خدى دش وغيرى هدومك اللى أتقطعت دى
نظرت له "ياسمينا " ببلاهه فقال على الفور موضحاً:
- قصدى يعنى أغتسلى وغيرى هدومك
خرجت "ياسمينا" تبحث عن الحمام وتركته غارقاً فى افكاره يبحث عن أى شىء يستطيع من خلاله العودة ولكن لا شىء فهو فى الاصل لم يفهم كيف أنسحبا إلى هذا العالم وكيف يستطيع هو أن يتحدث بنفس لهجة من حوله وكيف ارتديا تلك الملابس ولماذا يستطيع التعرف على التاريخ واسم البلد التى سقطوا فيها وكيف يستطيع التعرف على الاشياء المبهمة بالنسبة لعالمهما كأنه يعيش فى هذه البلد منذ نعومة أظافره ... تساؤلات كثيرة ولكن الأجابات جميعاً تهرب وتغوص فى عمق الخيال . !!

الفصل الثالث عشر

فتح باب المنزل بهدوء وأغلقه بهدوء وهو يدلف إلى الداخل بحذر وبطء وتقدم فى الظلام بخطوات ثابته يعرف طريقها جيداً .. تحسس طريقة حتى وصل إلى غرفة المرأة العجوز ودخل إليها فوجد الغرفة صامتة باردة إلا من موضع سجادة صلاة قد فُرشت ى أحد الاركان وابتسم بحنان وهو يراها تُنهى صلاة الفجر وتُسلم عن يمينها ثم يسارها ثم تلتفت إليه وتبتسم بدورها بحب وشرعت فى النهوض ولكنه اسرع إليها وأمسك بكفيها يساعدها على النهوض ثم قبل يدها وهو يقول بحب:

- تقبل الله يا حاجه

ابتسمت وهى تقول معاتبةً:

- أتأخرت أوى النهارده يا عصام كده برضه تقلقنى عليك يابنى

قبل كفيها مرة أخرى وهو يقول بمرح:

- يا أمى قولتلك بلاش القلق ده وبعدين ده يوم مهم عاوزانى اسيبه كده يضيع من ايدى قصدى من الكاميرا بتاعتى

أخذت بيده إلى الفراش وأجلسته بجوارها وقالت بصوت يملؤه القلق:

- يابنى انا مبقاش عندى غيرك بعد أختك الله يرحمها

حاول عصام تغير مجرى الحديث بشىء من المرح وهو يهم بفتح عدسة الكاميرا قائلا :

- أما أنا بقى يا حاجه صورتلك شوية موزز أنما ايه فاضلهم شويه ونحطهم فى المتحف جنب أخواتهم الفراعنه

قال كلمته وضغط أحد الأزار وهو يضع عدسة الكاميرا أمام عينيى والدته وهو قول ساخرا :

- أتفرجى بقى يا حاجه على ثورة أهل الفن اللى ناوين يعلمونا الدين بضمير واللى كانوا عاوزين يولعوا فينا ايام ثورة يناير .. ده أحنا هنشوف ايام سوده ..

http://www.youtube.com/watch?v=ZyQTq8WsC74

http://www.youtube.com/watch?v=p5HcmRj1GfU

قطبت والدته جبينها وهى تنظر إلى الفيديو وتستمع إلى عصام وهو يستطرد ساخراً مشيرا إلى أحدهن:

- الطاهره دى بقى ناويه تعلمنا الدين الصحيح أما دى بقى هتعملنا فيلم قريب علشان تحفظنا اسامى الاربعه المبشرين بالجنه قريب ان شاء الله واللى هناك ده ناوى يغير صورة مصر اللى فى الكتاب ويحطلنا صورة واحده ملفوفه فى ملايه وبتركب البوكس
أتسعت ابتسامة والدته وهو يعلق على الصور تعليقاته الساخره ثم بدأت بالضحك وضربته على كتفه ضربة خفيفه وهى تضع يدها الاخرى على قلبها قائلة :
- كفايه يا عصام قلبى وجعنى من كتر الضحك حرام عليك يابنى
تناول كف والدته وهو يقول ضاحكاً:
- أومال بقى يا ستى لو شفت الظباط اللى كانوا بيجروا ورانا فى التحرير ايام الثورة وهما بيوزعوا عصاير على الناس زى الراجل اللى بيمشى فى ماتشات الكوره وهو عمال يقول بيبسى حاجه ساقعه بيبيبسى
عادت إليها ذكرى ابنتها التى قُتلت على ايديهم وظهر ذلك جليا على وجهها وقسماته مما جعله يدير دفة الحوار بعيدا وهو يغلق عدسته قائلا:
- أحكيلى بقى التفاصيل علشان مفهمتش كويس منك فى التليفون .. إيه حكاية الناس اللى بايتين عندنا دول ؟
بدأت والدته فى سرد ما حدث منذ أن رأتهما وهما يفران ممن يريدون الفتك بهما بمجرد أن ابدا عدم موافقتهما على التصوير مع من يحتفلون فى الميدان وحتى أدخلتهما الغرفه وتركتهما وختمت حديثها قائلة:
- سبتهم يرتاحوا واتصلت بيك علشان متتخضش لما تيجى البيت وتشوفهم
عقد حاجبيه وهو يحك ذقنه ثم قال بتفكير:
- عموما اللى حصل حصل ولما يصحوا هتكلم معاهم ونشوف حكايتهم ايه دول
ربتت على كتفه وهى تحثه على الذهاب لفرفته قائلة:
- طب يالا روح نام شويه والصباح رباح
نهض عاصم بارهاق شديد وقبل أن يفتح باب غرفة والدته استوقفته متسائلة:
- أومال ساره خطيبتك فين مختفيه من أمبارح يعنى
ألتفت إليها مبتسماً ابتسامة منهكه وهو يرفع حاجبيه قائلا:
- هتتعبى أوى معانا يا ماما على فكره .. ما انتى عارفه ساره صحفيه مش هتفوت فرصه زى دى زمانها عملتلها كام تحقيق على كام صورة ما أنتى عارفاها تعز الاكشن زى عنيها ومفيش أكشن زى اللى فى التحرير دلوقتى ..
ثم استطرد وهو ينصرف :
- يالا تصبحى على خير

أغلق غرفة والدته خلفه بعد أن خرج منها وساقته قدماه بفضول شديد وحذر إلى غرفة "جاسر" وياسمينا" .. اقترب من الغرفة محاولا السيطره على فضوله الصحفى وكاد أن يفتح باب الغرفة ولكنه شعر أن هذا تصرف غير لائق وخصيصا أن الغرفه بها أمرأة فترك قبضة الباب وهم بالأنصراف ولكنه سمع حوارا بالداخل أجبره على الانصات وقد تملكته دهشة شديدة وشك فى قواه العقليه ونفض راسه محاولا استيعاب ما يسمع وحتى يتأكد من أنه مستقيظا ولا يحلم :

- مالك يا "ياسمينا" أنا نمت وصحيت وأنتى لسه صاحيه؟

- وكيف أنام وأنت معى فى غرفة واحدة ؟

- "ياسمينا" ده وضع مؤقت وانا قولتلك قبل كده أنا مش عارف هنقدر نرجع عالمنا أمتى وكل اللى أعرفه أن العاصفه نقلتنا مصر فى زمن بيحصل فيه اللى كان بيحصل فى زمانا لكن انا زى زيك مش عارف مصيرنا هيبقى ايه بالظبط

قالت "ياسمينا" بصوت باكى :

- أنت تستطيع التعايش فى هذا الزمن فأنت تتكلم بنفس لهجتهم وتفهم ما يدور هنا اما أنا فلا .. أريد أن أعود يا "جاسر" حتى وأن عدنا إلى الغابة بين الحيوانات المتوحشه

ابتلع عصام ريقه بصعوبه وهو يفرك جبينه ثم ينفض راسه وهو غير مصدق لما يسمع وتمتم وهو يسير بأتجاه غرفته مذهولا:

- ماهو أنا لو بشرب حاجه اصفره كنت قولت ماشى .. يمكن تكون نمت يا واد يا عصام وانت واقف وبتحلم .. جايز برضه

****

أطلت اشعة الشمس بخيوطها الذهبية الحاره من بين فتحات النوافذ ومن خلف زجاجها الشفاف لتلقى بنورها داخلها وتوقظ "ياسمينا" بعد ساعات نوم قليلة جدا .. استيقظت "ياسمينا" وفتحت عينيها ببطء وهى تتمنى أن ترى نفسها بداخل مخدعها فى قصرها وان ما مضى كله كان حلما وربما كابوساً مفزعاً ولكنها أغمت عينيها بأحباط عندما وجدت "جاسر" يتململ فى نومته على الأرض بجوار باب الغرفة .. نظرت إليه وأ بتسمت لطريقة تململه الطفوليه ولكن سرعان ما أختفت الابتسامة من ثغرها وتلاشت من عينيها عندما فتح عينيه ببطء ونهض على الفور وهو يعدل هندامه بحرج قائلا:

- صباح الخير

تمتمت ببطء وهى تنهض من فراشها :

- صباح الخير

ثم تابعت وهى تنوى الخروج من الغرفة:

- ساذهب إلى الحمام

استوقفها باشارة من يده وتقدمها قائلا بغريزة المقاتل :
- استنى لما اشوف الدنيا امان بره ولا لاء
أبتسمت ساخرة وهى تقول :
- نحن فى منزل يا "جاسر" ولسنا فى الغابه ألا تنسى ابدا أنك أمير الرماة
فتح باب الغرفة وهو يقول ساخراً:
- قصدك كنت أمير الرماة
بمجرد أن فتح الباب حتى صدم بـ "عصام" أمامه ينظر له متفحصاً ثم قال بريبة:
- صباح الخير يا .. يا امير الرماة
سمعته "ياسمينا" من الداخل فأندفعت على الفور إلى الخارج وهى تقول لـ"عصام" :
- كيف عرفته ؟ .. هل تستطيع أن تساعدنا فى العودة إلى عالمنا ؟
قطب "عصام" جبينه وقد أزدادت دهشته وتأكد مما سمع بالأمس ومما سمعه الان بينما ألتفت "جاسر" إليها بنظرات غاضبة ولكنه لم يستطع أن يوضح ما قالته "ياسمينا" منذ قليل
تمتم "عصام بدهشة ممزوجة بالخجل:
- أنا آسف مكنش قصدى أتصنت عليكوا أنا سمعت كلامكوا بالصدفه أمبارح ودلوقتى
ثم استطرد متعجباً وهو يتفحصهما :
- بس مش فاهم حاجه حاسس انى فى فيلم خيال علمى
جاءت والدته لتخبرهما أن طعام الافطار ينتظرهم ولكنها توقفت أمام المشهد والحديث الذى يدور بينهما .. لم يكن امام "جاسر" فى هذا الوقت إلا أن يقص عليهما حكايته مع "ياسمينا" وكيف نقلتهما العاصفة إلى خضم الاحداث فى مصر
تبادل "عصام" نظرات الشك الواضحه مع والدته وهم يجلسون حول الطاولة المستديرة بعد أن أنتهى "جاسر" من سرد كل شىء عليهما بينما كانت "ياسمينا" تجلس بجوار "جاسر" تحاول تحاشى النظر إلى "عصام" الذى كان يتأملها هى و"جاسر" بحيرة وشك ودهشة طاغية وهو يقول بتفكير:
- حاجه غريبة .. لاء حاجه مستحيله
ثم أعاد النظر إلى "ياسمينا" وهو يستدرك بابتسامة طفوليه:
- ولو أن أنتى شكلك يدى على ملكه مش أميره وبس
لم تفهم "ياسمينا" مقصده بينما أتكا "جاسر" بمرفقيه على الطاولة موجهاً نظرات حانقة لـ"عصام" وهو يقول بضيق:
- أظن خالينا فى موضوعنا ..
ثم تابع بنظرات متوعده :

- ولا ايه ؟
تبادل "عصام " النظرات مع والدته ثم قال بابتسامة :
- ماشى يا عم الحمش
مالت عليه والدته وقالت بخفوت:
- نوديهم يابنى مستشفى يكشفوا على عقلهم يمكن تعبانين ولا حاجه ؟
ضحك "عصام " ولم يستطع خفض صوته هو يقول ضاحكا:
- لو حكوا الحكايه دى قدام دكتور فى أى مستشفى مش هيحجزهم عنده وبس لا ده هيبلغ عنهم كمان
نهض "جاسر" وهو يهتف بغضب:
- أحنا مش مجانين وعموما أنا هنمشى دلوقتى ومتشكرين أوى على حسن الضيافه
وقف "عصام "بحرج وهو يمسك بيده وأجلسه وهو يقول معتذراً:
- أنا آسف والله بس هى الحكايه عجيبه فعلا
ثم تابع ساخراً :
- ولو أن من بعد الانقلاب الواحد المفروض يصدق أى حاجه
جذبت الكلمة أنتباه "جاسر" فقال متسائلا:
- مش فاهم ممكن توضح أنقلاب ايه ؟
تململ "عصام" فى جلسته وهو يقول:
- بأختصار علشان منطولش على بعض .. حصلت أنتخابات رئاسه بين مدنى وظابط طيران المدنى كسب .. الناس اللى كانت عاوزه الظابط مسكتوش وبعد سنه طلعوا بأعدادهم وظباطهم ومداماتهم ودبابه يمين ودبابه شمال شالوا الرئيس المدنى وافتكر كده أنهم ناوين على ظابط برده بس المره دى مش ظابط طيران .. اصل فى ناس كده متعرفش تعيش من غير ما تقول تمام يا فندم
قالت "ياسمينا " بأنفعال:
- اريد أن أعود إلى عالمى ارجوك ساعدنا
هزت المرأة العجوز راسها بأسى وهى تنظر إلى "ياسمينا" وهى تقول باسف:
- هنعمل ايه بس يا بنتى دى حكاية ولا فى الاحلام والله .. أديكوا قاعدين معانا لحد ما نلاقى صرفه
ثم نظرت إلى "جاسر" معاتبةً وهى تقول :
- مكنش المفروض تقول أنها مراتك .. من هنا ورايح "ياسمينا" هتنام معايا فى أوضتى
نهض "عصام" بمرح وهو يقول:

- أنا هقوم أتصل بـ"ساره " خطيبتى وأخاليها تيجى وتسمع حكايتكم دى وساعتها هيحصل حاجه من أتنين .. يا أما تصدقكوا وتفكر معانا هنعمل ايه يا أما هتفسخ الخطوبه وتبلغ عنى مستشفى المجانين

لم يكن حال "سارة" بأقل مما توقعه "عصام" وهى جالسه بينهم وتستمع إلى قصة العاصفة الزمنية التى نقلت "جاسر" و"ياسمينا" إلى مصر .. الاندهاش والتعجب وأتساع العينين وفغر الفم ببلاهة إلا أن "سارة" أستعادت توازنها سريعاً وقالت على الفور:

- أنا مستوعبه جدا ومصدقه أوى

نظر لها "عصام" بابتسامة مرحة قائلا:

- على أى اساس يا فكيكه هانم

قالت بحماس:

- سببين .. الاول أنى مؤمنه أن مفيش حاجه بتحصل صدفه وطالما ده حصل يبقى أكيد فى هدف من النقله الزمنيه دى وخصوصا أن حكاية مملكتهم زى حكاية بلدنا بالظبط ولو أنى لسه مش قادره أحدد الهدف بالظبط ..

ثم استطردت وهى تنظر إلى "جاسر" :

- السبب التانى بقى أن "جاسر" فعلا شكله شبه فرسان الاساطير

ضغط "عصام" على مرفقها واصطكت اسنانه وهو يهمس لها بغيظ:

- بقى كده ؟

قالت بأندفاع :

- لا والله مش قصدى انا قصدى الشكل يعنى وكده

ضحكت والدة "عصام" وهى توجه حديثها لـ"جاسر" قائلة:

- معلش يا بنى هما كده ناقر ونقير على طول انا مش عارفه لما يتجوزوا هيستحملوا بعض أزاى

أنهت عبارتها وهى تنهض وتشير إلى "سارة " قائلة:

- يالا معايا يا "سارة " نحضر الغدا

وقفت "سارة" ناهضة وهى تلوح الى "ياسمينا" بمرح وتنحنى بأحترام :

- عن أذنك يا سمو الأميرة

أبتسمت "ياسمينا" بعد أن كان وجهها متجهماً وأدركت أن "سارة" كانت تمزح منذ قليل عندما تحدثت عن مواصفات "جاسر" ..

مال "جاسر" واقترب من "ياسمينا" هامساً:

- أنتى زعلتى بجد ولا أيه ؟!

ألتفتت له بغرور قائلة باقتضاب:

- لا
تناول "عصام" كاميرا الفيديو الخاصة به وسحب مقعد وجلس بجوار "جاسر" وهو يفتحها قائلا :
- هفرجك بقى يا عم الفارس على شوية فيديوهات أنما ايه عجب
ضغط أحد الازرار وهو يقول:
- بمناسبة بقى شارع محمد محمود اللى نزلتوا فيه ده فيديو عن شباب كانوا ماسين فيه فى مسيرة والشاب اللى بيتكلم ده اسمه " جيكا " الله يرحمه والكلام ده مهم أوى بقى علشان الناس اللى بتقول أن الاسلامين معملوش معانا اى حركة جدعنه وخصوصا فى محمد محمود
http://www.youtube.com/watch?v=HB8JQ8Kdifk

شاهد "جاسر" الفيديو وهو و"ياسمينا" وهو عاقداً لجبينه ثم قال بتفكير:
- مين حازم ده اللى بيتكلم عنه ؟
ابتسم "عصام" قائلا:
- أنا سعيد أنك سألت السؤال ده يا "جاسر"
ألتفت "جاسر" إليه قائلا بدهشة :
- حاسس انى سمعت الجمله دى قبل كده
ضحك "عصام" ثم تابع حديثه قائلا:
- ده بقى الوحيد اللى تنبأ بالأنقلاب من قبل ما يحصل وقعد ينبه الناس ولا حد سمعله وآدى النتيجه .. ولما حصلت أحداث محمد محمود كان هو من الاوائل اللى دعى أنصاره للنزول وحماية الشباب هناك وبسبب الموقف ده حصلت مشاكل بينه وبين قيادات كتير وقتها وافتكروا أنه راجل بتاع دم وهو اصلا عمل كده علشان يحافظ على الدم

رفع "جاسر" حاجبيه بإعجاب ونظر إلى شاشة الفيديو مرة أخرى و "عصام" يسرد عليه بعض الوقائع المهمه ويريه بعض المقاطع التى تدل عليها وتوثقها .. مر الوقت كالرياح دون أن يشعر أحدهم بسقم أو ملل وكان "جاسر" يستمع ويتعلم ويخزن فى ذاكرته كل كلمة يستمع لها بأهتمام شديد وكذلك "ياسمينا" كانت تنصت بأهتمام وتركيز شديد .. مرت الساعات ولم يكن هناك حديث يدور بينهما إلا عن الاحداث وكيف وصلت بهم الامور لما هى عليه الان ثم أنتقلوا إلى الحال الذى اصبح عليه "جاسر وياسمينا" وكيف سيتعايشا مع الوضع الجديد وهنا قالت والدة "عصام" بترحاب شديد وصدق:
- هما هيفضلوا معانا هنا لحد ما يحلها ربنا

شعر "جاسر" بالاحراج الشديد وهو لا يدرى ماذا يقول وهل يرفض وحتى وإم رفض أين سيذهب هو و"ياسمينا" فى ظل هذه الظروف الغير مستقرة .. قاطع افكاره حديث "عصام" الموجه له قائلا:

- أنا رايح انا وزمايلى المصوريين بكره عند دار الحرس الجمهورى بيقولوا الريس محتجز هناك ..أيه رايك يا "جاسر" تيجى معانا ؟

قال "جاسر" بتفكير:

- هنروح نعمل ايه وايه لازمتها اصلا ؟

عقد "عصام " بين حاجبيه بينما قالت "صارة "بأنفعال:

- أزاى بقى لازمتها ايه .. يعنى يخطفوا الرئيس اللى أنتخبناه وأحنا نقعد نتفرج

تابع "عصام" بهدوء:

- الناس هتعمل وقفه سلميه معترضين على اللى حصل وأحتمال يعتصموا وبعدين أحنا اصلا صحفين ولازم نقوم بدورنا فى تغطية الاحداث ده شغلنا

أومأ "جاسر" براسه موافقاً وهو يقول:

- خلاص هروح معاك

ألتفتت والدة"عصام" إلى خطيبته "سارة" متسائلة:

- أنتى هتروحى معاهم يا "سارة"

هزة "سارة" رأسها نفياً وهى تقول:

- لا يا طنط أنا لازم أغطى أحداث رابعه أول بأول

****

مرت عدة ايام و"ياسمينا" تحاول التعايش والتاقلم على وضعها الجديد وساعدها على ذلك الطيبة والامان التى تجدها فى ابتسامة والدة"عصام" ولكنها مازالت قلقه ..

"جاسر" مازال فى صحبة "عصام" ورغم أن الاتصالات بينهما لا تنقطع ولكن فى كل يوم يمر كان قلقها يزيد خصيصا وهى تجلس أمام التلفاز وتشاهد الاخبار وترى البعض تساقط على اثر أستنشاقهم لدخان القنابل المسيله للدموع وفى آخر أتصال بينهما أنهت حديثها بصوت مختنق متسائل:

- متى ستعود يا "جاسر"

فيجيبها بحماس :

- لسه مش عارف بس متقلقيش أطمنى

لا يعلم "جاسر" من اين يأتى بهذا الحماس الذى يشتعل فى عروقه رويدا رويداً ليملأ عليه تفكيره وعقله وقلبه .. ربما يستمده من صبر هؤلاء الذين يحيطون به .. أنه يرى نساء تحمل أطفالها بصبر وتهتف بحماس وأمامهن أزواجهن وإخواتهن وربما ابائهن

يهتفون بصدور عاليه وصوت جهور لا يملكون الا الثقة بالله والصبر على ما اصابهم يشتعل الامل بداخلهم وهم يرون النصر فى كل نقطة دم تسيل فتزيدهم ثبات وعزيمة وإيمان .. غاب نور الشمس وأحاط الليل بهم وهم بين ساجد وراكع لله رب العالمين يؤدون صلاة الليل على ارصفة الشوارع حتى اذن المؤذن لصلاة الفجر وتراصت الارجل والابدان بخشوع وفى الركعة الثانية دوت الرصاصات تشق همهمات التسبيح وتعلن بداية مذبحة جديدة .. "مذبحة الساجدين "

الفصل الرابع عشر

أستيقظت "ياسمينا" صباحاً على صوت طرقات سريعة وقوية على باب المنزل فنهضت على الفور فزعة وهى تلملم شتات نفسها وقد شعرت بإنقباض شديد يغزو صدرها ويخترقه بقوة .. فتحت باب غرفتها وخرجت منها إلى الممر الصغير الذى يحتضن غرف النوم فى خصوصية تامة
فاصدمت بـ "أم عصام " وهى تخرج من غرفتها فى سرعة وقد شحب وجهها وتُتمتم :
- يارب استر
هرولت إلى الباب وما أن فتحته حتى أندفعت "سارة" للداخل وهى تهتف بأنفعال:
- أيه يا جماعه مبتردوش على التليفون ليه و"عصام" كلمكوا ولا لسه ؟
قالت عبارتها وهى تتجه إلى التلفاز لتفتحه و"أم عصام " تنظر لها بدهشة وتتابع حركاتها العصبية قائلة:
- فى ايه يا "سارة"
ضغطت "سارة" أحد أزرار جهاز التحكم عن بُعد الخاص بالتلفاز وهى تقول بتوتر شديد:
- معقوله متعرفوش ! بيضربوا نار على المعتصمين عند الحرس الجمهورى من الفجر
وضعت "أم عصام" يدها على صدرها بألم وهى تشعر بأعتصار شديد بداخله بينما شهقت "ياسمينا" واضعة كفيها على فمها بخوف شديد وهى تشاهد التلفاز وما يدور به من مشاهد القتلى والمصابين والجرحى

http://www.youtube.com/watch?v=CInSK6Iu_2s

http://www.youtube.com/watch?v=SzilZxiy8HI

http://www.youtube.com/watch?v=fErJu3LBlTE

لم تنتظر" أم عصام" كثيراً شقت الصمت بخطواتها الخائفة المرتعده وهى تسرع إلى غرفة نومها موجهة حديثها لـ"ياسمينا" قائلة:
- أدخلى ألبسى بسرعة لازم نروحلهم
حاولت "سارة" أن تستوقفها قائلة:
- هتروحى فين بس يا طنط .. خاليكى أنتى وأنا هروح وهبقى أطمنك
أنهت عبارتها وهى تزفر بقوة فلم تجد من يستمع لها .. دلفت كل منهما إلى غرفتها لتبديل ثيابهما على الفور وتركتا "سارة" تتابع ما يحدث بعينين دامعتين وقلق وتوتر وهى تضغط أزرار هاتفها فى محاولة أخيرة للتواصل مع "عصام" ولكن مازال الهاتف كما هو " مُغلق" .. أعادت الهاتف إلى حقيبتها بأصابع مرتعشة وهى تحاول أن تبث الطمأنينة إلى قلبها مُتمتمة:
- خير .. خير إن شاء الله خير مفيش حاجه

بعد وقت طويل ومعاناة فى الطريق المؤدى إلى اقرب نقطة إلى نادى الحرس الجمهورى وصل ثلاثتهن إلى هناك . لم تكن الصورة بحاجه إلى تفسير .. الدماء فى كل مكان وحاله من الهرج والمرج تسود المكان .. حاولت "سارة " البحث عن "عصام " ولكنها لم تجده ولم تجد من يدلها عليه وكلما طالت مدة البحث كلما هربت الدموع من عينيها رغماً عنها وكلما أنقبض قلب والدته أكثر وأكثر وتجمدت الدموع فى عينيى "ياسمينا" وهى تحاول إختراق أجساد البشر أمامها باحثة بينهم عن "جاسر" .. صديقها اللدود وعدوها الحميم !!
لم يدم بحثها كثيراً فلقد اصطدمت بوجه عينيها فاشارت إليه وهى تهتف باسمه .. وقفت " أم عصام" تنظر إليه وهو مقبل نحوهن ببطء يُقدم ساق ويُؤخر الأخرى مُطرقاً برأسه إلى الأسفل وقد تلوثت ثيابه بالدماء .. لم يكن الأمر يحتاج إلى السؤال كادت أن تسأله عن "عصام" ولكن لسانها عجز عن التحرك لقد كانت عيني "جاسر" تجيب عن السؤال المرير .. مد يده ليخلع الكاميرا المعلقة برقبته ثم مد كفه بها إلى والدته وهو يهرب بعينيه من نظراتها المتجمدة الشاخصة وهو يقول بحزن عميق :
- "عصام" عاش بطل ومات بطل
http://www.youtube.com/watch?v=bg0CVq585KM

****

هل من كلمات تستطيع أن تُسعفنا فى وصف دموع أم فقدت ولدها .. كانت ستزفه بعد اشهر قليلة إلى عروسة والان تزفة إلى القبر وبيد من ؟ .. بيد جندِ من جنود وطنه برصاص بلاده وهو واقف على أرضها يؤدى عمله وينقل الحقيقة لشعبها عن طريق كاميرته !!
لم تكن دموع بل كادت أن تكون دماء تعتصر القلوب وتمتزج بأوردتها لتصرخ فى كل نبضة وتلعن السفاح .. لم تستمع إلى شهيق خطيبته ولم تكد تراها وهى تكاد تفقد وعيها كل ما كانت تراه هو "عصام" رأته هو يحتضن أخته التى سبقته بالشهادة منذ سنتين ثم ينظرا إليها ويبتسما ويرسلا إليها القبلات .. عادت إلى منزلها ودلفت إلى غرفته تتلمس فراشة وتستنشق رائحته التى مازالت تعبق فى المكان ..

أخرجت هاتفه الشخصى وظلت تتحسسه وتقبله ثم تذكرت الأنشودة التى أسمعها اياها قبل أن يُقتل بيوم واحد وطلب منها أن تستمع إليها فى حالة استشهادة .. ضغطت الازرار ونامت على فراشه وهى تحتضن هاتفه وتستمع إليها وتبكى فى صمت بكاء يشق صمت الجدران البارده ليبحث عن ساكن الغرفه فلا يجد سوى ذكرياته وضحكاته وسجادة صلاته ومصحفه وصوت الانشودة يدوى بها

http://www.youtube.com/watch?v=ud1M2b6mmVM

****

لم تكن "سارة " باقل حالا من والدته فلقد فقدت حبيبها هى الآخرى .. لازمت فراشها لأيام لا يربط بينها وبين الواقع سوى جسدها المسجى فى السرير .. لا تستطيع النوم فكلما أغمضت عينيها التى زبلت بعد أن جف دمعها رأته يبتسم ويمد له يده ويحثها على النهوض ويعاتبها عتاب المحبين وهى تسمع كلماته تدوى بداخلها " لو مُت يا سارة لازم تكملى إوعى الحزن يوقفك لحظة بلدنا تستاهل حريتنا تستاهل فى سبيل الله كله يهون "

http://www.youtube.com/watch?v=79959aq7kOs

****

لامست "ياسمينا" ذراع "أم عصام" بخفة وهدوء وهى نائمة وهمست فى اذنها بحنان وشفقة:
- أمى هل أنتِ بخير ؟
فتحت "أم عصام " عينيها ببطء ولا تكاد ترى من بين دموعها وقالت بإنهاك:
- الحمد لله
مسحت "ياسمينا " على راسها وهى تقول بهدوء:
- "سارة" فى الخارج تريد أن تراكِ
دب بعض النشاط فى جسدها وابتسمت بمرارة وهى تجيبها:
- "سارة " ... وحشتنى أوى
قالت كلمتها وهى تنهض معتمدة على ذراعى "ياسمينا" وإتكأت على كتفها وهى تخرج من غرفتها .. وقع نظرها على "سارة " وهى ترتدى الأسود وتنظر إليها وتبتسم بعينين متورمتين من البكاء وما أن رأتها حتى أسرعت إليها وأحتضنتها بقوة وهى تقبل راسها وكتفها وتقول معتذرة:
- آسفه أنى سبتك وأتخليت عنك وأنتى محتجانى بس غصب عنى أنا لسه قايمه من السرير النهارده
أبتسمت "أم عصام" ابتسامة شاحبة وهى تمسك بوجه "سارة" بين كفيها وتقول بعينين دامعتين :
- عذراكى يا بنتى بس ابقى خالينى اشوفك .. لما بشوفك بحس أنى شايفه "عصام" واقف قدامى
ذرفت "ياسمينا" الدموع وهى تشاهد ما يحدث ونظرت إلى "جاسر" الذى كان يدفن وجهه بين كفيه غارقاً فى أحزانه .. فلم تفارق صورة"عصام" عينيه طيلة الايام الماضيه وهو مدرج فى دمائه وثيابة مخضبة بدمه الذى أهدر بأعصاب باردة وضمير متجمد ورحمة معدومة .. نظرت "أم عصام" إلى الحقيبة المتوسطة التى تضعها "سارة" بجوار باب الشقة وألتفتت إليها متسائلة:

- شنطة ايه دى يا "سارة" ؟.. أنتى مسافرة ؟
ابتسمت "سارة " ابتسامة حزينة شارده وهى تجيب:
- لاء .. أنا هكمل اللى بدأناه أنا و"عصام" .. أنا رايحة رابعة
أمسكتها "أم عصام" من كتفيها وكادت أن تثنيها ولكنها لم تستطع .. قرأت "سارة" القلق البادى على وجهها فإحتضنتها بحنان وهى تقول:
- متخافيش عليا المهم خلى بالك من نفسك
رفعت "أم عصام" راسها وظلت تحدق فى وجه "سارة " للحظات جعلتها تشعر بالقلق عليها وتقول بهدوء وهى تتلمس كتفها:
- مالك يا طنط فى ايه
شعر الجميع فى هذه اللحظه أن "أم عصام" دبت بها الحياة من جديد واستقام ظهرها بعزة وأطلت نظرات التحدى من عينيها وكأنها أمرأة مقبلة على الأخذ بالثأر من الذى قتل ولدها وتكلمت فى رصانه وصرامة لا تحتمل النقاش:
- استنينى ..أنا جايه معاكى
وقف الجميع يحدق بها وهى تتجه لغرفتها ثم إلتفتوا إلى بعضهم البعض فى تساءل ودهشة بينما نظرت إليها "ياسمينا" وقالت بتردد :
- "سارة" ألستِ خائفة ؟
أبتسمت "سارة" وهى تقول بحزن يكسوه الاصرار:
- مبقاش فى حاجه أخاف عليها يا "ياسمينا" .. هما فاكرين لما يقتلوا الناس اللى بنحبهم هنخاف ونقعد فى بيوتنا لكن بالعكس .. كل ما يقتلوا شهيد بتخرج عيلته كلها بعد كده علشان ترجع حقه .. الاول كان بينا وبينهم حريتنا وبس دلوقتى بقى بينا وبينهم دمنا اللى ملطخ ايديهم !
تلاقت نظرات "جاسر" و"ياسمينا" وكأنهما يتحدثان بدون حروف ويتناقشان ثم يتخذان القرار الصحيح .. إتجه كل منهما إلى غرفته ليجمع ثيابه وفى كل منهما عزماً على مواصلة الطريق بجوار "سارة" و"أم عصام" ومن بالميدان ..
وأغلق باب المنزل بعد خروجهم منه وقد اصبح خاوياً من ساكنيه تكاد تبكى جدرانه عليهم وهى تودعهم فلقد حان أوان الرحيل .. بعد أن كان المنزل عامراً بالضحكات يفتح ذراعيه للحياة والأمل ويتزين للزفاف القريب أصبح خاوياً على عرشه معروفاً بمنزل الشهداء !

****

ميدان رابعة .. لا تتجه إليه الأجساد وفقط وأنما تتجه إليه العقول والقلوب فهل ياتى عليه يوماً وتنتمى إليه الأرواح ايضا؟! ... من لم تسرى قشعريرة بجسده عند دخوله ورؤية العباد والصائمين ؟ من لم يشعر بالدفء والتقارب رغم إفتراش الأرصفة فيه ؟! من لم تعلو همته فى العباده والاستمرار وهو يرى الركع السجود مواصلين ؟1 ..
إزدادت عينيه تألقاً بالأمل بعد أن كان يشعر بالأحباط .. ليس هو وحده بل هكذا ايضا تسلل ذاك الشعور إلى قلوب من معه "أم عصام " و"ياسمينا" و"سارة" التى مالت على أذن "ياسمينا" قائلة:

- النساء هاتفتش شنطتك .. عادى متقلقيش ده إجراء طبيعى للأمان بس
عبر "جاسر" بعد أن تم تفتيشه من قبل الرجال وهم يمزحون معه ويضاحكونه بينما وجدت كل من "ياسمينا "وأم عصام" فتيات صغيرات لا يتجاوزن الثامنة عشر يستقبلهن بإبتسامة ووردة بيضاء لكل منهما .. لم تكن تلك المراحل غريبة على "سارة" فهى تدخل وتخرج لتواصل عملها الصحفى دائما وكذلك "أم عصام" التى كان يحكى لها ولدها رحمه الله عن مراحل الدخول للأعتصام ..
"ياسمينا" و"جاسر" فقط هما من كانا ينظران إلى كل ما حولهما بعينين مندهشتين فلم يكونا يتصورا قط أن يحدث تجمع لكل تلك الأعداد من البشر لا يمتلكون من الامكانيات الا القليل النادر ورغم ذلك تعلو شفاهم البسمات وتنطق أعينهم بالأمل فى الله ..
أجرت "سارة" أتصالا هاتفياً بأحد زملائها الصحفيين وصديق من اصدقاء "عصام" رحمه الله فأخبرها أنه قادم من بعيد ويراهم .. توقف "سارة" وهى تقول لـ"جاسر" :
- زميلنا جاى علشان تروح معاهم يا "جاسر" يعرفك على الشباب وهتفضل معاهم وأحنا بقى هنروح عند النساء ولو عوزت توصلنا تكلمنا فى التليفون
ألتفتت إليه "ياسمينا" بقلق فقالت لها "سارة "على الفور:
- متقلقيش هيفضل معانا فى الميدان هنا بس مش هينفع نقعد مع بعض هنا فى خيم للستات وخيم للرجاله ولو إحتاجتيه ممكن تكلميه فى أى وقت
ربتت "أم عصام" على كتف "ياسمينا" تطمئنها بينما أقبل صديق "عصام" ووقف يرحب بهم بشدة ثم قال موجهاً حديثه لـ"سارة"
- متقلقيش يا أستاذة .. "جاسر" فى عنينا
إنصرف "جاسر" بصحبته إلى مخيمات الرجال بينما إنطلقت بهما "سارة" إلى مخيمات النساء الإبتسامه والاستقبال الحار من النساء جعل "ياسمينا" تبتسم وتترك قلقها جانباً وتندمج معهن ..
لم يكن من الصعب الأنتباه إلى لهجة "ياسمينا" والسؤال عنها .. حاولت "سارة" المراوغه فى الأجابة حتى لا تكذب وجعلتهن يعتقدن أنها غير مصرية ..
تطوع "جاسر" ليقف بين صفوف لجان التأمين على بوابات الميدان ليلاً وعند أول لحظة له عند مداخل التأمين فكر بطريقة القائد العسكرى كما كان فى عالمه وأول ما بحث عنه هو سلاح التأمين فإلتفت إلى قائد اللجنة وقال متسائلا :
- أومال فين السلاح اللى هنشيله فى التأمين
أبتسم قائد المجموعه وهو يناوله عصاه طويلة كانت فى يده :
- استلم سلاحك يا مجند
قال عبارته وإنصرف يتابع عمله مما جعل "جاسر" يشعر بغرابة الأمر ويسأل عن الأمر بجديه زميله فى اللجنة .. فإتجه إليه وقد كان يجلس على مقربة منه يقرا القرآن

وسأله بدون مقدمات :

- فين سلاح تأمين المداخل

رفع الشاب راسه وقد أنهى قراءته وقرأ علامات التعجب والصدمة فى وجه "جاسر" وهو ينظر إلى العصى بدهشة كبيرة فنهض وأخذ بيد "جاسر" وهو يلوح لصديق له بأنهما سيتغيبان خمسة دقائق وسار بجوار "جاسر" وهو يهمس فى اذنه :

- وطى صوتك هتفضحنا كده .. عاوزنا نشيل السلاح عينى عينك ولا أيه

شعر "جاسر" بالارتياح وقال هامساً:

- لازم طيب أتدرب عليه كده مش هينفع

أومأ الشاب برأسه موافقاً وهو يقول:

- هتدرب طبعا أومال أيه !..

تساءل "جاسر" بحذر وتركيز:

- نوعية السلاح ايه

ثم تابع بتردد :

- اصل أنا كويس أوى فى الرماية

أبتسم الشاب ثم قال بجدية :

- بص يا سيدى عندنا طبنجات و رشاشات وبنادق آلى على كام صاروخ موجه بعيد المدى

ثم أخفض صوته أكثر وهو يقول بحذر:

- وجايلنا بعد كام يوم تشكيلة كلاشينكوف أنما أيه بسم الله ماشاء الله12 لون ابقى أختار اللى يعجبك
هز "جاسر" راسه برضا رغم أنه يجهل مجموعة الاسماء التى استمعها من الشاب وسار بجواره وهو يفكر كيف واين يتم التدريب على تلك الأسحله فى منطقة مأهوله بالسكان ومزدحمة وبها أطفال ونساء بهذا الشكل بالاضافة إلى عدسات الكاميرات التى تصورهم ليل نهار وتتجول بينهم بأريحية تامة
قطع تفكيره صوت الشاب وهو يشير إلى أسفل المنصة ويتجه إليها فأتبعه "جاسر" وهو يتلفت حوله بحذر وزادت حيرته عندما وجد الناس تنظر إليهما وهما يتجهان إلى حيث مخزن السلاح هكذا ببساطه دون أعتراض من أحد أو حتى نظرة شك واحدة ..
دلف "جاسر" خلف الشاب على الفور أسفل المنصة ثم عقد حاجبيه وهو يجول ببصره فى المكان الخاوى إلا من أسلاك الميكرفونات وطفايات الحريق وبعض الأخشاب المتناثرة وفى أحد الاركان القريبة صندوق خشبى مفرغ موضوع فوقه بعض المصاحف
وضع الشاب يده على كتف "جاسر" وهو يقول متفهماً:
- أنا عارف أنك ممكن تكون صدقت الاعلام واللى بيقولوه علينا وكنت عاوز تتأكد بنفسك والغريب يا أخى أن نفس الاعلام ده هو هو اللى كان بيقول على ثواره25 نفس الكلام "سلاح ، حماس ،سوريين ، فلسطنين ،أجندات أجنبيه ، كنتاكى ، بنات وشباب وعلاقات جنسيه كامله " !
وبرضه الناس لسه بتصدقهم !!! .. علشان كده جبتك هنا علشان تشوف بعينك وتتأكد ان ده هو سلاحنا الوحيد
قال كلمته الأخيره وهو يشير إلى صندوق المصاحف ثم تابع:
- والصندوق ده شايلينه هنا علشان يبقى فى أمان ومكانه معروف لينا كلنا

أنهى كلماته وأنصرف على الفور وهو يشير لـ"جاسر" بأن يتبعه إلى مدخل تأمين الأعتصام حتى لا يتأخروا أكثر من هذا على عملهم هناك .. تبعه "جاسر" والمشاعر المختلطه تختلط بقلبه وعقله إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من الشعور بالأعجاب بهؤلاء البشر الذين يمتلكون طريقة مختلفة غير التى كان يمتلكها فى عالمه لاستعادة الحقوق المسلوبه

لاحظ أنه عندما تقترب الشمس من المغيب يبدء العمل الدؤوب فى توزيع التمر والماء بين المعتصمين يتلوها صلاة المغرب ثم يأتى إليه الشباب وكل منهم يحمل سندوتش من الجبن فى يد واليد الأخرى ثمرة خيار .. ابتسم "جاسر" وهو ينظر إلى الشاب عن يمينه فقال الشاب على الفور ضاحكا :
- ده بقى الكباب والكفته اللى بيقولوا عليه
ثم تابع مازحاً :
- علشان أعدادنا هنا كبيرة أوى بناكل جبنه وخيار فى النهضه بقى أعدادهم اقل مننا علشان كده بياكلوا كشرى
ثم عض شفتيه بمزاح وهو يستطرد :

- بحقد عليهم
ضحك "جاسر" وهو يتناول قطعة خبز من أحد الشباب عن يساره ووقف ينظر أمامه فى تفكير وشرود وهو يتذكر عالمه ومدى التطابق الذى حدث بين العالمين ولكن هناك أختلاف واحد قد يتمنى أن يعود لعالمه من أجله !!
****

إلتفتت "سارة " بابتسامة كبيرة عندما استمعت إلى نداء طفولى بصوت صغير ورقيق وصغير لتجد طفلة تجرى نحوها مسرعة وتنادى باسمها ألتقطتها "سارة" بذراعيها وحملتها وهى تدور بها بحب كبير قائلة:
- سلمى حبيبتى وحشتينى أوى أوى
تصنعت "سلمى " الحزن وهى تلوى شفتها السفلى قائلة بعتاب:
- زعلانه منك يا سوسو .. كل يوم آجى أسأل عليكى يقولوا لسه مش جيتى
إحتضنتها "سارة" وقالت بأعتذار:
- آسفه يا "سلمى " يا حبيبتى والله كنت تعبانه أوى
قاطعتهم "أم عصام" بابتسامة وهى تُقبل عليهما فقالت "سارة " :
- دى "سلمى" يا طنط عندها 8 سنين أتصاحبت عليها هنا فى الأعتصام ومن ساعتها مبنسبش بعض
حملتها "أم عصام" وأحتضنتها مرحبة بها بحنان :
- ماشاء الله يا "سلمى " أنتى زى القمر يا حبيبتى
ابتسمت "سلمى " بخجل ثم ضحكت وقالت :
- شكرا يا طنط بس نزليني بقى عاوزه اروح ألعب مع صحابتى
أنزلتها "أم عصام " بهدوء وهى تقول :
- لمضه أوى
أنحنت "سارة" على اذن "سلمى" روحى ألعبى يا ستى بس متنسيش تجيلى بعد كده علشان نراجع جزء عم مع بعض ماشى ؟
أومأت "سلمى " برأسها وهمست فى اذن "ساره" كمن يبوح بسر حربى :
- ماما قالتلى فى العيد هيجيبوا هنا مراجيح وحاجات حلوه كتير !
عقد "ساره" حاجبيها بمرح وهى تقول بصوت منخفض :
- وسمعت كمان أننا هنعمل كحك العيد
صفقت "سلمى "بكفيها بسعادة وهى تقفز وما أن سمعت نداء صديقاتها خارج الخيمة حتى هرولت إليهن على الفور وهى تهتف :
- هنتمرجح وناكل كحك بسكر ونلعب بالبلالين
تعالت ضحكات الصغيرات بسعادة يتبعها تصفيق حار وهتاف وكل منهن تحمل دميتها الخاصة و يسرعن بها إلى جوار المنصه .. تنتظر كل منهن دورها للصعود إليها والهتاف بكل حماس وبراءة

****

مضت أيام رمضان وكلما مضى يوماً يقترب ابطالنا أكثر وأكثر من عالمنا وتنشأ بينهم وبين من يحيطون بهم من معتصمين علاقة حب ومودة وصداقة وتقارب روحى .. وكم كان مشهد الصلاة وتراص الاقدام بخشوع هو أكثر ما يؤثر بهما ويتعجبن من اليقين الذى يغلف قلوبهم برغم صعوبة ما يلاقون من شائعات تبصقها القنوات ليل نهار فى وجه واذن من يصدقهم ويبدؤن فى نشرها بين الناس بوسائل مختلفة ..

"جربانين ، سوريات ، 50 جنيه فى اليوم ، جهاد النكاح " !!

http://www.youtube.com/watch?v=k6zOe3Ab58Y

****

وفى فجر يوم 18 رمضان فوجىء الجميع بمذبحة أخرى
" مذبحة المنصة" مجزرة التفويض !!

http://www.youtube.com/watch?v=2k3GB0EocoE

http://www.youtube.com/watch?v=I_oWLteV334

وبدء توافد المصابين والشهداء على المستشفى الميدانى فى ميدان رابعه فى حالة من الذهول التى جعلت الجميع يتسائل لماذا ؟ لماذا قتلوهم ؟ لانهم ارادوا الإعتصام هناك فقط ؟ تساءلوا كثيرا وبكوا كثيرا على خيرة شبابهم الذين أغتيلوا بيد الغدر .. وهم لا يعلمون ماذا ينتظرهم فى الغد القريب !!

****

النسيان .. نعمة كبيرة من الله سبحانه وتعالى لولاها لعشنا ايامنا نجتر أحزاننا وما جفت عبراتنا وما توقف دمعنا ابدا .. أما هؤلاء لم يتسنى لهم أن النسيان ربما لتوالى المذابح والمجازر واحدة تلو الأخرى ولكن الأطفال بصحبتهم لا ذنب لهم ولا جريرة لذلك قرروا تأجيل الحزن قليلا من أجل صغارهم .. صغارهم الذين سيبتسمون ويمرحون من أجلهم وسيبقون ايضا فى هذا المكان من أجلهم .. من أجل مستقبلهم وكرامتهم وحريتهم التى نُزعت منهم عنوة ولن يرحلوا إلا باستردادها أو يموتوا .. وشعارهم لا يوجد إختيار ثالث ابدا إما أن نحيا هنا كراما أو نحيا عند ربنا كراما

مضت الايام كل يوم يكبر الحلم أكثر وتأتى الوفود بكثرة منهم من اراد مجاورة أخوانه فى الصف والثبات معهم وشد أزرهم ومنهم من كان لازال بداخله رواسب وشكوك وجاء ليتأكد بنفسه وبأم عينه و هلت نسائم العيد بالبهجة والفرح تحمل الكثير وتذهب بالكثير وتحول الميدان إلى أحتفاليه كبيرة وفرضت بهجة العيد سيطرتها على الجميع صغاراً وكباراً وكيف لا وهم من أجتهدوا فى العبادة فى رمضانهم وأتموه برباطهم هذا الذى ستتذكره الأجيال جيلاً بعد جيل وسيُدهشون من صمود ابائهم وأمهاتهم وأجدادهم المنقطع النظير ..

بعد صلاة العيد عانقت "سارة" والدة "عصام" وهى تقول بابتسامة:

- كل عيد وأنتى طيبه يا طنط

ابتسمت "أم عصام" بحزن ورغماً عنها أنفلت الدمع من عينيها ليشق مساره الطبيعى إلى وجنتيها شقاً وقلبها يعتصر من الحزن على ولدها ولكنها كفكت دمعها فى سرعة وهى تقول تقول بصوت باكى:

- المفروض كان فرحكم بعد كام يوم يا بنتى

ترقرق الدمع فى عينيى "سارة" وأحتضنتها وهى تقول بثقة لا تعلم من اين أتتها :

- ماهو فرحنا هيبقى بعد كام يوم برضه يا طنط

ربتت "أم عصام" على كتفها وهى تقول بحزن:

- بعد الشر عليكى يابنتى

نظرت "سارة" فى عينيها بعمق وقالت بابتسامة ملائكيه:

- ده مش شر يا طنط مين فينا ميتمناش أنه يموت شهيد .. هو انا أطول !

كست البالونات سماء الميدان منها المعلق على الأعمدة ومنها الموزعة على الأطفال واقام بعض القادرين مكان مخصص لألعاب الأطفال

ولم يستطع الشباب من منع نفسهم من المرح قليلا واللعب باسحلة بلاستيكية بشكل يوضح سخريتهم من الأشاعات التى يطلقها الأعلام عليهم

اركب
السيسى
من غير
فلوس

مضى اليوم الأول من ايام العيد وتسحر المعتصمين قبل الفجر لبداية صيام الست من شوال بداية من اليوم الثانى للعيد مباشرة وفى كل يوم يأتى الناس إليهم للأحتفال بالعيد معهم سواء من القاهره أو من محافظات أخرى حتى أنتهت ايام العيد الثلاث الساهرة المبهجة

وقبل فجر الرابع عشر من أغسطس صلى الجمية صلاة القيام ثم تناولوا وجبة السحور قبل اذان الفجر بقليل وبعد صلاة الفجر ترك "جاسر" نوبة التأمين وتوجه للنوم للاستراحة قليلا فلقد ظل

واقف طوال الليل للحراسة على قدميه وبعد أن استسلم للنوم بسويعات قليلة أستيقظ فزعاً على صوت ضرب النار والغاز والصراخ والهتاف ..
نهض مسرعاً كمن رأى ثعبان بجواره وهرول إلى الخارج ليرى سحابة الدخان الناتجة عن القنابل والحرائق وسمع من حوله يهتفون "بيفضوا الأعتصام خالوا بالكوا فى قناصه فوق المبانى "
فوجد نفسه يجرى باقصى سرعته متجهاً إلى مخيمات النساء وعقله يدق ناقوس الخطر وصورة "ياسمينا" لا تفارقه وهو يبحث بين النساء عنها حتى وجد "أم عصام " تضع الكمامة على أنفها وفمها وتسعل بقوة فأتجه إليها وهتف بها :
- فين "ياسمينا"
قالت بصوت مبحوح :
- راحت مع "سارة" قبل الضرب عند البوابات ألحقهم يابنى
أتسعت عيناه فزعاً وأخذ يسعل بقوة وهو يشق الأرض شقاً بأتجاه البوابات وكلما اقترب كلما أزادا صوت طلقات الرصاص والخرطوش والبعض يتساقط من حوله اما جريحا واما شهيداً وما أن اقترب أكثر حتى تعثرت قدماه فى جثة شاب قد فارقته الحياه على اثر رصاصه فى قلبه مباشرة نظر فى وجهه وصرخ باسمه فلقد كان هو نفسه الشاب الذى أخذه اسفل المنصه من قبل ليريه كذب ما يروج له فى الأعلام هطلت الدموع من عينيه كالمطر وهو ينظر إلى ابتسامته التى علت وجهه وثغره فأغمض عينيه ونهض يبحث عن "ياسمينا" وسارة" مرة أخرى وهو يكاد لا يرى من اثر الدخان والدموع ..
ظل يدور فى المكان كالمجنون حتى استمع إلى صرخاتها من مكان قريب .. جن جنونه وهو يحاول الوصول إليها كاليث المقيد بالسلاسل وما أن اقترب من صوت صراخها حتى استطاع أن يراها وهى تجثو على ركبتيها أمام جثتين وتصرخ بأسمهما :
- "ساااااارة" ... "سلمى اااااا "
وتبكى بغزارة وحرقة أقترب منها وجذبها من ذراعها وهو ينظر إلى الجثتين .. أغمض عينيه بمرارة وحزن وفتحهما مرة أخرى ليتأكد مما رأى .. لقد كانت "سارة" مخضبة بدمائها ووتعلو شفتيها ابتسامة ملائكية وتنظر للأعلى وكأنها ترى شىء يسعدها فى السُحب وهى تحتضن طفلة صغيرة لم يستطع تبين ملامحها فلقد غمرت الدماء وجهها ورغم أنها فارقت الحياة إلا أنها لم تترك دميتها من يدها وظلت قابضة عليها وكأنها تصر على اصطحابها معها أيضا إلى السماء كما اصطحبتها معها فى الدنيا .. لم تستطع "ياسمينا " الحراك وظلت تصرخ لا تريد فراق "سارة وسلمى" تريد أن تموت بجوارهما فلم يعد هناك فرق كبير فى نظرها بين الحياة والموت بعد كمية الدماء التى رأتها تسبح على الارصفة فى تلك الفترة القصيرة التى عاشتها فى تلك البلد التى تُقبل ابنائها برصاص حي..

http://www.youtube.com/watch?v=VwxSN94K3M0

http://www.youtube.com/watch?v=TgdD1dJ-Eh8

http://www.youtube.com/watch?v=AfC5cSvO7Qs

فيديو هدية (تحت المنصة)

http://www.youtube.com/watch?v=eC6NhgjC9Co

بدأت "ياسمينا" تشعر بالأختناق وصعوبة فى التنفس وهى تستنشق كمية كبيرة من رائحة الدخان المتصاعد والذى غطى سماء الميدان بموجبة ضبابيه ولم تستطع قدماها أن تحملها أكثر من هذا وبدأت تسقط بين يديه وهى تظن بل توقن أنها المرة الأخيرة التى ستراه فيها ... حملها بلوعة وهو لا يدرى اين يذهب بها .. ليس هناك مكان آمن يستطيع أن يضعها به .. كل مكان يُقتحم حتى المسجد والمستشفى الميدانى وكل شىء يُنتهك حتى الجثث لم تسلم منهم ومن جرافاتهم .. الشباب البواسل على البوابات قُتلوا جميعاً بعد صمود طويل بصدور عاريه وقلوب مؤمنة .. كان يجرى بها لا يرد الفرار بنفسه بل اراد حمايتها فقط وهو يقاوم ذلك الدوار الذى بدء يغزو عقله والارهاق يستشرى فى بنايه وأوصاله ويزحف منذراً بقرب النهاية.. وفجأة توقف وهو يراه فوق أعلى تلك البنايه

أصطدمت عيناه بذاك السفاح وهو يصوب سلاحه نحوهما ويحدد الهدف المنشود ... تمتم بشفاه مضطربة:

- قناصة !

أدرك أنها النهاية حتماً فهما هدف سهل له ولكن جسد "ياسمينا" الذى سكن بين يديه فى مواجهة .. أستدار "جاسر" بثبات ليكون ظهره فى مواجهة القاتل وبدء يعدو فى الأتجاه المعاكس وهو يدرك بخبرته أنه مهما أبتعد فسوف تصيبه رصاصة القناص

وفجأة شعر بألأم شديد يخترق كيانه ويمزق جسده بل ويخنقة ويعتصره .. شعور غريب !! من المفترض أن يشعر بألأم أختراق الرصاصة ولكنه شعر بأعتصار جسده وأظلمت الشمس فجأة وتلاشى النور أمام عينيه وم يعد يشعر بجسد "ياسمينا" بين يديه بل لم يعد يشعر بشىء على الأطلاق .. فقد حواسه جميعاً وهو يشعر أنه يمر من عنق زجاجة ثم سقط بقوة وارتطم جسده بالارض وتدحرج جسده على أثر ذلك الهبوط الإضطرارى وبدأ يفتح عينيه ببطء وقد شعر أن كل شىء حوله قد سكن تماماً وساد الصمت إلا من صوت يعرفة تماما ..

أتسعت عينيه عن آخرهما بعد أن تيقن أن ذلك الصوت لم يكن إلا صوت صهيل "جسور" .. نهض وهو يترنح بقوة ويتنفس بصعوبة ويبحث بعينيه عن "ياسمينا" حتى وجدها ملقاة بين الشجر و"عنان" تتحسس وجهها بهدوء

دار بجسده فى المكان ليتأكد أنه لا يحلم وهويُتمتم بابتسامة مريرة :

- لقد عُدنا !!

حورية وطن بدون إيقاع

http://www.youtube.com/watch?v=kOLSsHSrIbY

الفصل الأخير

فتحت عينيها ببطء وهى تُتمتم بكلمات مبهمة وبلسان متثاقل ولكنها كانت كافية لتجعلها تنهض إليها على الفور متجهه إلى موضع رأسها مباشرة وهى تمسح حبات العرق التى غمرت جبينها ثم قالت بابتسامة حنونة:

- كيف حالُكِ الآن يا صغيرتى

أتسعت عيني "ياسمينا" دهشة وهى تنظر إلى جليستها الرؤوم وتحاول النهوض بصعوبة وهى تقول:

- "مودة"؟!!

أقتربت منها وإحتضنتها بحنان وإشتياق وهي تربت على ظهرها تبثها الطمأنينة قائلة:

- نعم يا صغيرتى أنا بجوارك لا تقلقى

إنتزعت "ياسمينا" نفسها بهدوء من بين ذراعى "مودة" ومازالت محتفظة بملامح الدهشة والذهول على وجهها متسائلة بشرود:

- هل عُدنا إلى عالمنا من جديد ؟!!

ابتسمت "مودة" وهى تومىء برأسها قائلة:

- نعم لقد عُدتما إلينا يا صغيرتى ولكنك كُنتِ فاقدة للوعى لفترة طويلة

ألقت نظرة سريعة على المكان حولها وهى تتابع:

- ولكن أين هو "جاسر" ؟!

أحتضنتها "مودة" مرة أخرى وهى تجيبها :

- لقد أحضرك إلى هنا وإنتظرك كتيرا حتى تستعيدى وعيك ولكنك تأخرتِ كثيرا مما أفسح له مجالاً ليسرد على سمعى ما حدث لكما وما مررتما به من أهوال ثم جاء رسول"صارم الحكيم" منذ قليل يطلبه على الفور فذهب وترككِ فى رعايتى .

حاولت "ياسمينا" النهوض واقفة بمساعدة ذراعى "مودة" وهى تنظر إلى ملابسها الملكية التى عادت كما هى قبل إنتقالهم عبر الزمن إلى بلاد الأهوال وعدلت من وشاحها الأبيض وهى تقول :

- هل أستطيع أن أتفقد المكان فى الخارج ؟

تناولت "مودة" كفها وهى تقول بابتسامة مرحبة :

- بالتأكيد يا أميرتى .. هيا بنا

****

عقد "صارم" حاجبيه وهو ينظر إلى "جاسر" وقد زينت ثغره ابتسامة متعجبة حائرة وقد طالت فترة صمته مما جعل "جاسر" يشعر بالقلق وقال بإندفاع وحماسة :

- أعلم أنك تظن أنى قد فقدت عقلى ولكن هذا ما حدث و"ياسمينا" الآن بصحبة "مودة" وإن لم تصدقنى أحضرتها لك لتسرد عليك ما رأيناه معاً فى تلك البلاد ..

نعم ليس عندى تفسير لما حدث ولكنه حقيقة أقسم لك
مط "صارم" شفتيه بهدوء وهو يتفحص وجه "جاسر" بعمق ثم قال وهو ينهض ويسير بهدوء وكفيه متشابكتان خلف ظهره :
- إهدأ يا ولدى .. أنا لا أكذبك ولكن لا بد أن أتثبت من الأمر أولا
نهض "جاسر" على الفور وهو يتجه إلى الباب :
- سأحضرها لك لتتثبت بنفسك مما قلت
أشار إليه "صارم" أن ينتظر وهو يتجه نحوه قائلا:
- سنذهب سوياً
قال كلمته الأخيرة وهو يضع ذراعه على كتف "جاسر" مبتسماً وإتجها للخارج وهو يتابع حديثه معلماً :
- يا ولدى أنا اثق بك ولكن التثبت من الأقوال يجعلك تضع قدمك على أرض صلبة دائما
بمجرد خروجهما من البيت الخشبى الصغير وقع نظر "جاسر" على "ياسمينا" قادمة من بعيد بصحبة " مودة" التى أشارت إليه وهي تتحدث إلى "ياسمينا" قائلة:
- هاهو "جاسر" بصحبة "صارم الحكيم "
نظرت "ياسمينا" إلى "جاسر" متعجبة فلقد إستعاد هو أيضا ملابسه المقاتلة القديمة ثم توجهت عينيها تلقائياً بإتجاه "صارم الحكيم " فشعرت أنها رأته من قبل ولكنها توجست خيفة ..
فالجميع فى ذلك المكان يعلم من هى "ياسمينا" إنها ابنة القاضى المنصور الذى سمح لنفسه أن يصبح لعبة فى يد "سيسيان الأكبر" يوما ما وقتل ضمير الحق بداخله
زال بعض توترها عندما رأت "صارم" تنفرج شفتيه عن إبتسامة ودودة وهو يتابع اقتراب "جاسر" منها والذى كان يسرع بإتجاهها وبمجرد أن وقف أمامها قال بإشفاق :
- هل أنتِ بخير ؟
أومأت برأسها وهو تقول بإنكسار :
- نعم
لاحظ "جاسر" ملامح الحزن بوجهها فقال على الفور:
- ماذا بكِ يا "ياسمينا"
تحدثت "مودة" قائلة:
- أنها تخشى من وجودها هنا وتظن أن الجميع يكرهها
أطرقت "ياسمينا" إلى الأرض بحزن وهى تستدرك قائلة:
- ومعهم كل الحق فى ذلك فأنا ابنة المنصور الذي..
عقد "جاسر" حاجبيه ونظر لها معاتباً وهو يقاطعها قائلا:
- "ياسمينا" ألا تثقى بى ؟
حاولت أن تعقب ولكنه قاطعها مرة أخرى مؤكدا :
- كيف تخشى من أى شىء وأنا بجوارك .. الجميع هنا يعلم أنك ليس لك ذنب فيما حدث وأنك مختلفة عنهم
قالت "مودة" مؤكدة:

- نعم يا "ياسمينا" فأنا كنت دائما أقول لهم فى رسائلى أنك مختلفة ولم يكن عندك علم بما حدث فى الماضى.. إطمئنى يابنتى
نظر لها "جاسر" بعمق ثم أرسل تنهيدة قوية وقال:
- دعكِ من هذا الحديث الآن .. "صارم " يريد أن يتثبت مماقلته له ..
هيا تعالى معى وقصى عليه كل شىء رأيناه وعشناه وكابدناه سويا ليتأكد بنفسه
إقتربت "ياسمينا" على استحياء وبخطوات مترددة بإتجاه "صارم" الذى ابتسم لها ليطمأنها ..
وقفت أمامه و"جاسر" وقف بجوارها و"مودة" إلى الجانب الآخر .. صمتت قليلا فقال لها "صارم" على الفور:
- مرحباً بك بيننا يابنتى
ابتسمت ابتسامة صغيرة بينما حثها "جاسر" على الحديث بنظراته لها فبدأت فى سرد كل شىء رأته بصحبة "جاسر" و"صارم" ينصت لها بإهتمام لا يخلو من الدهشة فلقد تأكد أن "جاسر" لم يكن يحلم فليس من المعقول أن يحلم أثنتيهما نفس الحلم بنفس التفاصيل وفى نفس الوقت
... بعد وقت ليس بالقصير إنتهت "ياسمينا" من سردها وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة وهى تتذكر لحظة مقتل "سارة وسلمى " بين يديها وابتسامتهما الساحرة بعد إنتفاض جسديهما الانتفاضة الأخيرة قبل أن يفارقا الحياة متشبثتان ببعضهما البعض وهطلت عبراتها دون أن تشعر كالأمطار الغزيرة تشق وجنتيها بصمت خانق شقة صوت "صارم" الذى قال بعينين سابحتين في سماء ملبدة بالغيوم :
- إن هذا لشىء عجاب
أندفع "جاسر" فى الحديث وهو يقول بحماس :
- مُعلمى لقد أخطأنا خطأ كبيراً حينما أقنعناك بأن نبتعد وننسحب فلو كنا وقفنا وصمدنا منذ سنوات كهؤلاء القوم الذين صمدوا وصبروا لما تهالكت مملكتنا إلى هذا الحد ولما ثبتت أركان مُلك الطغاة فى بلادنا لقد أخطأنا ولابد من تدارك هذا الخطأ لابد أن نعود ونقف وقفة رجل واحد لابد أن نستعيد شراع مملكتنا من هؤلاء القراصنة

إلتفت إليه "صارم "بعينين متفكرتين :
- وحدنا فقط لن نفعل شيئا يذكر
أجاب "جاسر" بحماسة أكبر
- لا يا مُعلمى لسنا وحدنا فخطتنا منذ سنوات قد أثمرت بعض النتائج .. مجموعة الفتيان الذين تحمسوا وبدأوا فى التحدث إلى الناس وإقناعهم بعدم الصمت وقبول الهوان فى الطرقات والميادين والأسواق قد آتت أكلها وبدأ الناس فى التذمر وإدراك ما فاتهم منذ سنوات وأنهم قد خُدعوا من قبل وأعتقد أنهم خائفون فقط من الخطوة الأولى وينتظرون أن نخطوها نحن أولا ونحن أجدر بذلك مُعلمى
عقد "صارم" حاجبيه بتفكير شديد وهو يناقش "جاسر" قائلا:
- ولكن فى وجه من سنرفع سيوفنا ونبالنا يا "جاسر" هل سنتقاتل فيما بيننا ونُهلك بلادنا بأيدينا وتعم الفوضى

تبادل "جاسر" النظرات مع "ياسمينا" ثم قال نافياً:
- لا يا مُعمى لن نرفع سيوفنا فى وجه أحد لقد رأينا هؤلاء القوم يرفعون فقد أصواتهم بالرفض والصمود ولذلك أصبحوا أقوى من قاتليهم ومن يحملون الموت إليهم لقد أضعفوا موقف سفاحيهم بصدورهم العارية ونفوسهم المطمئنة وصدى سلميتهم الذى دوى فى أذن العالم أجمع فأصبحوا رمزا للحرية والصمود وسوف نفعل مثلهم سنخوض معركتنا بصدورنا حتى نستعيد مملكتنا وإن خسرنا أرواحنا فلن نخسر كرامتنا

أشعلت كلامته حماس "صارم" وبدأت الخيوط تتجمع برأسه ويرى بحس الحكيم صواب قرار "جاسر" فقال على الفور وقد أوقدت شعلة التدبير بعقله:
- أرسل إلى فتياننا فى المدينة وأخبرهم أننا سنلحق بهم واطلب منهم تكثيف حديثهم مع الناس فى كل مكان حتى نعود ثم ينضموا إلينا ومعهم من آمن بفكرتهم بالميدان الكبير بجوار القصر
ظهرت ابتسامة متفائلة منتصرة على وجه "جاسر" وهو يومىء بالموافقة وهم بالإنصراف على الفور ولكن "صارم" استوقفه قائلا:
- إنتظر لا تذهب أنت اليوم بل أرسل أحد اصدقائك ممن يعرف الطريق إلى المدينة ويستطيع أن يتواصل مع مجموعة الفتيان كما أتفقنا
قال "جاسر" متعجباً :
- ولماذا لا أذهب انا
أشار "صارم" بإبتسامة مرحة إلى "ياسمينا" وهو يقول مشاكسا:
- هل سمعت يوما عن رجل ترك عروسهُ فى ليلة عُرسه وذهب فى مهمة بين الأحراش
إنتفض قلب "جاسر" وإتسعت ابتسامته وهو ينظر بإمتنان إلى "صارم" بينما تبادلت "ياسمينا" النظرات مع "مودة" غير مصدقة لما تسمع وهى تُتمتم بخجل :
- ماذا ؟!
أشار"صارم" برأسه إلى "مودة" أن تغادر ثم هم هو بالإنصراف وهو يقول مستطردا:
- تفاهما فى الأمر ثم إلحقا بى
قال كلمته وإنصرف وهو و"مودة" وتركهما ليقول كل منهما ما لديه فلقد أدرك بحكمته حقيقة مشاعر خفية تربط بين "جاسر" و"ياسمينا" بالإضافة إلى أن وجودها بينهم وهى زوجة "جاسر" أفضل بكثير من وجودها بصفتها إبنة المنصور
إستدار "جاسر" إليها بجسده كله ينظر إليها بسعادة مُغلفة بالحنان ثم قال بخفوت :
- فى كل مرة كنت أتحدث فيها إلى "صارم" كان يقرأ فيها عينى ويجيبنى عن ما يدور بخلدى دون أن أتفوه به أما اليوم فلقد قرأ ما يدور بقلبى وأعلن عن ما كنت أكتمه بداخله
أطرقت "ياسمينا" برأسها خجلاً واضطرابا وهى تفرك كفيها توتراً ولم تستطع أن تتفوه أو حتى تنظر إليه مما جعله يشعر بالقلق ويقول بترقب:
- "ياسمينا" لكِ كامل الحرية فى قول لا ولن يجبرك أحد على شىء لا تريدينه ولكن لا تصمتى هكذا
أرادت أن تغير مجرى الحديث من شدة الخجل الذى غلفها وطبع بصمته على وجنتيها بوضوح فقالت :

- هل تذكر الحديث الذى دار بيننا قبل أن تنقلنا العاصفة إلى بلاد أخرى هناك الكثير لم تقله لى وأنا أريد أن أعرفه ..
أريد أن أعرف كيف مات "سيسيان الأكبر" وكيف ظل والدى يحكم المملكة ولماذا أصبح "سيسيان " أخى هو الحاكم الفعلى وتوراى أبى إلى الظل ؟
ظل "جاسر" ثابتا وهو ينظر إليها مليا وقال :
- هل تتهربين من الإجابة ؟
ثم مط شفتيه وهو يعقد ذراعيه أمام صدره قائلا بحزن:
- أنتِ ترفضيننى يا "ياسمينا"
رفعت رأسها مسرعة وهى تهتف بخفوت :
- أنت مخطىء أنا لم أقصد هذا
ثم أطرقت برأسها مرة أخرى على الفور قبل أن ينظر إليها واستدارت توليه ظهرها وهى مازالت مكانها .. استدار "جاسر" ووقف قبالتها وهو يرفع رأسها إليه قائلا:
- سوف أروى لك ما تريدين معرفته ولكن أجيبينى أولا هل أنتِ موافقة على الزواج بى؟
أشاحت بوجهها بعيدا وهى تبتسم بحياء قد غلبها وهى تحرك رأسها بنعم
أرسل تنهيدة حارة وقد إتسعت إبتسامته وهتف بحماس وسعادة :
- الآن سأروى لكِ كل شىء ولن أصمت حتى الصباح ولكن ذكرينى عند أى نقطة فى السرد قد توقفنا ؟
قالت على الفور وهى تبتعد براسها قليلاً لتتجنب الاصدام بأحد فروع الاشجار فى طريقها:
- لقد توقفنا عندما صارت مقتلة عظيمة فى كل من يعترض على ما فعله "سيسيان الأكبر" بعدما أطاح بالملك "بالصالح" وأصدر الأوامر بعد ذلك بقتل "صارم الحكيم " ولهذا أقنعتموه بالتخفى والهرب بصحبتكم
أومأ "جاسر" برأسه وهو يلملم شتات أفكاره ويستدعيها من خزانة السنوات الغابرة ثم قال وهو يمشى بجوارها ببطء عاقدا ذراعيه أمام صدره:
- نعم لقد تذكرت .. استطاع "سيسيان الأكبر" بعد ذلك أن يكمم الأفواه إما بالمناصب والمال وتلاقى المصالح وإما بالسلاح والقوة والغصب ..
بحثوا عنا كثيرا ولكنا كنا قد إختفينا تماما فى الغابة وإتخذناها مأوى لنا فترة ليست بالقصيرة فى عمر الزمن وإتفقت أنا ومن معى وكنا جميعا بين مرحلتى الصبا والشباب أن نقسم أنفسنا إلى مجموعات مجموعة تتدرب على السيف والرماية ومجموعة تعود إلى المدينة متخفية تندس بين الناس وتحاول إيقاظهم من غفوتهم وتوضح الحقائق الغائبة وتختفى سريعا دون أن يشعر بعملهم هذا أحد من جند "سيسيان الأكبر" أو بصاصيه وفى يوم من الأيام إستيقظنا على خبر مقتل "سيسان الأكبر"
إلتفتت إليه "ياسمينا" متسائلة وقد توقفت عن السير:
- من الذى قتله ؟
أجابها بحيرة صادقة :
- حتى الآن لا نعلم من هو ولم يكن وقتها من المهم أن نتعرف عليه يكفينا ما فعله ويكفينا الخبر

رفعت حاجبيها وهى تهتف بإستنكار :
- ولماذا لم تعودا إلى المدينة بعد ذلك
أشار لها أن تكمل سيرها بجواره وهو يقول :
- ألا زلتى لا تفهمين الأمر يا "ياسمينا" ؟ .. المشكلة لم تكن تكمن فى شخص "سيسيان الأكبر" فقط لقد كانت منظومة الفساد والظلم متكاملة حقا وقائد الشرطة والحرس كان من أحد الطغاة الذين يسفكون الدماء دون أن يرمش لهم جفن ونحن لم نكن قد تمكنا من التدرب على حمل السيوف بشكل كافى ولم تكن سواعدنا قد اشتدت بعد
مالت براسها إلى اليمين قليلا وهى تقول متسائلة:
- هل كانت العودة و القتال ضمن خططكم فى ذاك الوقت
أومأ برأسه موافقا وهو يقول:
- أنا وأصدقائى كنا متحمسين جدا لذلك ولقد كان "صارم " رافضاً لفكرة القتال وكان يظن أن مجموعة الشباب التى تعمل على توعية الناس هم أفضل منا بكثير ولكننى أنا وأصدقائى كنا نشتعل حماساً لذلك اليوم الذى سنرفع فيه سيوفنا ونبالنا فى وجه الطغاة وكنا ننتظر فقط حتى تشتد سواعدنا ونصبح أكثر خبرة فى فنون النزال والحرب
نظرت إليه تحثه على متابعة الحديث فقال متابعاً:
- بعد موت "سيسيان الأكبر" أصبح والدك "المنصور" هو الحاكم الفعلى للبلاد وعن يمينه قائد الشرطة والحرس وعن يساره قائد الجيوش الذى تم ترشيحه له وبالطبع كان من أشد المخلصين لـ "سيسيان الأكبر" ويسير على الخطى التى رُسمت له مِن قِبَل قبيلة "الهود"
توقفت "ياسمينا" عن السير للمرة الثانية وهى تبتلع ريقها بصعوبة وقد شعرت بغصة فى حلقها وهى تسأل متخوفة من الإجابة :
- وهل والدى كان على علم بمخطط قبيلة "الهود"
نظر لها بإشفاق وهو يحاول ألا يجرح مشاعرها:
- لم يكن إلا مجرد أداة يا "ياسمينا" .. لقد استخدموه كغطاء لهم وأصبح والدك هو صورة الحاكم فى المملكة ولقد تركوه يظن ذلك سنين طويلة حتى يشتد عود أخيكِ "سيسيان"
تحسست جبينها بإضطراب وهى تتسائل:
- وما علاقة "سيسيان" أخى بقبيلة "الهود" ومخططهم
اقترب منها وهو يقول بحنان :
- ماذا بكِ هل أنتى متعبة؟
قالت بتوتر واضطراب:
- لالا من فضلك أكمل أريد أن أعرف كل شىء
عقد "جاسر" بين حاجبيه وقد عزم على مصارحتها قائلا:
- علاقة وثيقة يا "ياسمينا" .. والدته كانت ابنة أحد زعماء قبيلة "الهود"
استندت "ياسمينا" إلى الشجرة الكبيرة التى كانت تمر بجوارها وهى تقول بأنفاس متقطعة :
- والدتى ؟! ..
أخذ ينظر لها بتعاطف كبيروهو لا يعلم كيف يخفف عنها وقع تلك الصدمات المتكررة ثم قال بهدوء:

- والدتك ليست هى والدة "سيسيان" أخيكِ يا "ياسمينا"
صمت قليلاً يرقب قسمات وجهها التى تصرخ بالاستنكار والحيرة ثمقال مستدركاً:
- لقد كان والدك المنصور متزوجا بأمرأة أخرى وهى ابنة أحد زعماء قبيلة " الهود" وأنجب منها أخيكِ "سيسيان" وبعد أن فارقت الحياة بسنوات تزوج والدتك أنتِ وأنجبك منها .. كنت أظن أنك على علم بالأمر فى بادىء الأمر ولكن "مودة" أخبرتنى أن أحدا لم يخبرك بالأمر وخاصة أن والدتك كان تتعامل مع "سيسيان" بتعاطف وكأنه ولدها .
ولكنه لم ينسى مازرعته والدته بدمه وأرضعته إياه لقد نقشت بداخله أن إنتماءه الأول والأخير هو لقبيلة "الهود " فقط ولا يجب أن يعمل شىء إلا لمصلحتها وفقط ولهذا تركوا والدك يحكم المملكة سنوات وهو يظن نفسه الحاكم الفعلى ولم يكن ذلك إلا لأنهم كانوا ينتظرون فقط أن يصبح "سيسيان" مستعدا وقادرا لتولى أمور المملكة

مسحت براحتها حبات العرق الوهمية فوق جبينها وقد شحب وجهها وهى تردد بذهول:
- وإذا كانت قبيلة "الهود" ترغب فى حكم بلادنا لماذا لم تتدخل مباشرة وإنتظرت كل تلك السنوات ؟
استند إلى الشجرة بجوارها بكفه وهو يجيبها قائلا:
- لأنهم يعلمون أن عامة الشعب تكرههم وفى ذلك الوقت لم يكن شعبنا بعد قد نسى هذا الكره والعدواة التى بيننا وبينهم ولقد كانوا متأملين أن الزمن والمصالح وإفساد العقول مع الزمن سيسهل الأمر عليهم كثيرا ولقد حدث ما أرادوه لقد أنفقت قبيلة "الهود" أموالا طائلة للرواة والقصاصين والبصاصين والمهرجين ومطلقى الاشاعات سنوات وسنوات وبالفعل أفسدوا عقول الكثيرين حتى أن عامة شعبنا بعد أن كانوا متعاطفين مع مجموعة من الشباب كانت تحارب قراصنة قبيلة "الهود" التى سطت على بلادهم الصغيرة أصبحوا يصفونهم الآن بالقتلة والإرهابيين وعندما حاول الملك "الصالح " مساعدة هؤلاء الشباب بمساعدات بسيطة كان يسمح لهم بالمرور مثلا عبر بلادنا إلى بلادهم خلسة بدأوا يتهموه أنه خائن وعميل لهم

زاغت أنظار "ياسمينا" وهى تردد غير مصدقة :
- هل استطاعوا إفساد عقول الناس حتى أصبح عندهم الضحايا إرهابين وقتله !!
هز "جاسر" رأسه بضيق وهو يقول مؤكدا :
- نعم ولهذا عندما طلبوا فى الآونة الأخيرة إرسال بعض رجالهم بداخل بلادنا لم يستنكر الشعب هذا الفعل لقد انشغل الجميع بجمع الأموال والبحث عن الرزق وحماية أنفسهم من قطاع الطرق فكيف سينتبهون لحماية حدود مملكتهم

عقدت "ياسمينا"حاجبيها وهى تتسائل :
- وكيف استطعت أنت أن تصل إلى القصر بهذه السهولة ؟
رفع كتفيه وهو يقول ببساطة :
- طيلة السنوات الماضية وأنا أتدرب على الرماية ووجدت فى نفسى ميلا كبيرا لها وظهرت مهارتى التى لا يضارينى فيها أحد ورغم إعتراض "صارم" على ما كنت أنويه إلا انى تسللت إلى المدينة

خفية عندما أنبأنى اصدقائى عن مسابقة سيقيمها قائد الجيوش ليضم إلى الجيش رجال أشداء ماهرين ..
إشتركت فى المسابقة بمساعدة أحد المخلصين وفزت فيها بالمركز الأول وأعجب قائد الجيوش بمهارتى كثيرا وألحقنى بصفوف الرماة ومع الوقت إستطعت أن اصل بمهارتى إلى أن اصبحت قائد الرماة وبمساعدة"مودة" استطعت أن أحصل على ذاك البيت الذى لا يفصله عن الغابة سوى حائط واحد وهكذا كان الأمر
نظرت إليه بعمق وقلبها ينتفض خوفا من إجابة سؤالها التالى ولكنها تنفست بعمق ثم أطلقت زفرة حارة وقالت:
- هل كان تدريبى على الرماية ثم مساعدتك لى ضمن مخططك يا "جاسر"
جمع كفيه أمام وجهه وهو يغمض عينيه قليلا ثم يفتحها قائلا بصدق:
- لم تكونى ضمن مخططاتى فى يوم من الأيام ولم أكن أعلم أنهم سيستدعونى لتدريبك على الرماية ... منذ أن رأيتك للوهلة الأولى وأنا أشعر بضعفك وإحتياجك لى رغم الغطرسة التى كانت تغلف حديثك معى وتحاول أن تخفى ما ورائها وفى المقابلة الثانية تأكدت من ذلك وتأكدت أكثر عندما أخبرتنى "مودة" بدافعك لتعلم الرماية لهذا تحديت الجميع وألححت على خروجك من القصر وأن تنتقل ساحة التدريب إلى بيتى وبستانى .. وكان أصدقائى ينتظرون منى إشارة البدء للتحرك وحسم المعركه التى سنواجه فيها الطغاة
تساءلت بفضول لم تستطع التحكم به :
- ولماذ لم تفعل ؟
ابتسم بحب وهو يقول بإهتمام:
- كنت أريد أن أخرجك من القصر أولا أنتى و"مودة" لتكونا بعيدتين عن ما سيحدث فمنذ أن شعرت بإحتياجك لى وأنا أرى نفسى مسئولا عنك وعن حمايتك ..
وثانيا العاصفة الزمنية التى تعرضنا لها ونقلتنا إلى بلاد أخرى جعلتنى أنظر للأمور بشكل مختلف وأستطيع أن افهم فلفسة "صارم " فى نهينا عن التقاتل مرارا وتكرارا
ثم رفع رأسه إلى السماء وهو يقول بشرود:
- القتال والحرب كان سيفقدنا تأييد الناس وتعاطفهم معنا بل والإنضمام إلينا بل وكانوا سيصدقون الشائعات التى كان الرواة يرددونها على مسامعهم دائما بأننا قتلة وسفاحين وإرهابين ونريد سفك دمائهم .
تعلمت وأنا أقف على بوابة لجان حراسة الميدان بجوار هؤلاء الشباب أن قوة الفكره أقوى من قوة السلاح .. ولهذا تراجعت بعد عودتنا إلى عالمنا عن فكرة القتال وقررت أن نواجه "سيسيان " بثباتنا وصبرنا وفكرتنا العادلة وليس بسلاحنا
ثم تنهد بحسرة أشعلت صدره وهو يتابع :
- لقد أخطأنا خطأ كبيراً يا "ياسمينا" عندما قررنا الهرب والتراجع إلى حين
إلتفت إليها بعد أن أنهى كلمته الأخيرة فوجدها قد بلغ الشرود منها مبلغه وأخذ يرسم بريشته الحائرة فوق ملامحها الشاحبة .. دنى قليلاً منها وهو يقول بجدية :

- "ياسمينا" سنتحرك قريبا وسنعود للمملكة وأنا على يقين أن الناس ستتحرك معنا وتنضم إلينا فلا تخافى ولا تخشى أبدا

رفعت رأسها إليه بإبتسامة مغتصبة من قلب مرتعد فقال مستدركا بمرح :

- أريد أن نقيم مراسم زواجنا الليلة فأنتِ لم تتدربى بعد على إصابة الهدف المتحرك

لم تستطع أن تخفى ضحكتها الرقيقة وهى تشيح بوجهها رغما عنها رفعت كتفيها بإستسلام وسعادة وهى تسير بجواره بإتجاه "صارم " و" مودة" لتخبرهما بموافقتها على إقامة مراسم الزفاف قبل عودتهم إلى ديارهم التى افتقدوها منذ سنوات فالليلة هى ليلة عُرسهما رغم كل شىء..!

إنتهت مراسم الزواج وابتدى عطر النسمات يلفحهما ويعصف بهما بعيدا مبحراً على متن الشوق الهادر بين أمواج عاتية تداعب شذرات ماءها الباردة وجهيهما مشاكسة ولكن هيهات أن يلتفتا لها مهما زادت برودتها ومهما كثرت مشاغبتها حتى خاب أملها فإنحصرت وهدأت وإنسحبت بهدوء مفسحة المجال لخيوط الشمس التى أوشكت على الانسدال بلمعتها الذهبية الحارة تتكفل هى بمداعبة جفنيهما لتعيد سفينة حبهما المبحرة رغما إلى شاطىء النهار اللامع الذى جاء خصيصا لينير طريق تلك الخيول الضارية التى تشق الغابة شقا فى طريقها إلى بلادها ومملكتها معلنة إنتهاء وقت الخضوع والهرب والتراجع ..

وعلى غير المعتاد كان جواد "جاسر " هو آخر تلك الخيول فلقد عمد إلى أن يجعل جواده فى النهاية حتى يستطيع أن ينعم بقرب حبيبته وزوجته "ياسمينا" دون أن تراقبهما أى من العيون .. أحاطها بذراعه وأحكم قبضته على لجام جوادة بيده الأخرى وهو يقول برضا :

- هذا أفضل بكثير

إلتفتت براسها إليها تسأله بخجل:

- لماذ أرغمتنى على ترك "عنان" بصحبة "مودة" فى المقدمة أنا لا أكاد أراهما بوضوح

ابتسم وهو يحث "جسور" على السير البطىء :

- أريد أن أنعم بقربك قليلاً يا حبيبتى

إعترتها موجة مفاجئة من القلق والإضطراب وتخللت قلبها الذى كان يخشى العودة مما جعلها تقول بشرود:

- لماذا نحن عائدون يا "جاسر" لماذا لا نبقى بعيدا

شعر برجفتها فأراد أن يطمئنها قائلا:

- قلت لكِ من قبل لا تخشى شيئا يا حبيبتى لن يكون هناك قتال والجميع هناك يستعدون إلى الخروج لملاقاتنا .. لو خرج الشعب الثائر فى غضبة واحده فلن يستطيع أحد الوقوف أمامه ولا حتى جند "سيسيان" ومن معهم ولن تنفعهم أسلحتهم حين ذاك

لم تجبه ولم تستطع أن تروض خوفها كل ما فعلته فقط أن إستكانت ملقية رأسها على صدره والنسمات تداعب شعرها الذى يثور و يلوح بكبرياء أمام وجهه فيضمها أكثر وهو يحاول أن يخفى ما تسرب إليه من قلق ..

ليس خوفا من المواجهة ولكن خوفا من الناس التى من الممكن أن تخذله وتظل قابعة مكانها فمن تربى على الذل من الصعب أن يتفهم معنى الكرامة ويثور لأجلها

مرت الخيول بمن عليها عبر باب حديقة "جاسر" القابعة حول بيته وبستانه بهدوء وهنا بدأ التحرك بترقب وحذر ولكن بثقة و"صارم" يتقدمهم جميعاً بجسارة وما أن بدأت الخيول عبور بوابة الحديقة الرئسية إلى المدينة تفاجأ الحراس الذين كانوا يحرسون البوابة بأعداد الخيول المقتحمة ووجوه قد غابت عنهم لسنين مما أدخل الرعب فى قلوبهم ومنهم من ظن أنهم اشباح عادت للإنتقام ففروا جميعاً هاربين مما أتاح للعائدين العبور بسلام والتوجه مباشرة إلى الميدان الكبير المواجه للقصر الملكى وفى الطريق كانوا يمرون بالطرق والأسواق عامدين إلى ذلك ليشعلوا الهمة بنفوس العامة ويشعلوا الحماس فى قلوب **اللذين مازالوا يتثاقلون خوفا** من المواجهة خائفين من قول كلمة لا وهم من تعودوا على الخضوع دائما وأبدا . **هم من ارتضوا أن يعيشوا ساكنين هادئين يأكلون ويشربون ويتزوجون فقط دون أي تطلع أو رغبة في تغيير حياتهم للأفضل إرتضوا حياة المخلوقات الأخرى الاقل دونيه بلا هدف ولا طريق**

كانت مجموعة الشباب التى كانت تعمل بالمدينة قد أتمت مهمتها وجمعوا من وافقهم من الشعب وقد كانوا الأغلبية الساحقة وساروا فى إتجاه الميدان الكبير ليتقابلون مع "جاسر" كما هو الموعد المتفق عليه هناك

كان حشدا مهولا هادرا من الناس ولحق بهم عدداً كبيراً من المقهورين والمظلومين و النساء والفتيات من كل حدب وصوب ومن بينهم المرأة والفتاة التى أخذوا عائلهما الوحيد أمام أعينهما ولم يروه من يومها ولم يسمعوا له همسا ...

وبدأت الجموع تتلاقى وكل منهم تشع عينيه أملا وتفؤلا وثباتاً وصبراً والحناجر تهدر وتزار فى مواجهة الطغاة .. وإمتلىء الميدان وفر الحراس رعباً وهلعاً وسُدت بوابات القصر فلم يستطع أن يخرج أو يدخل منه أو إليه أما فى الداخل فلقد كان هناك من يصرخ غاضباً فيمن حوله :

- أين قائد الجيوش أين قائد الحرس كيف يحدث هذا فى مملكتى

وقف أمامه أحد الحراس وقد شحب وجهه بشدة وقال باضطراب :

- لم نجد لهما أثراً يا مولاى لقد فر الجميع أمام تلك الحشود الكبيرة من الناس

صرخ "سيسيان" وصدره يشتعل ناراً:

- اقتلوهم جميعا اعتلوا الأسوار واقتلوهم الان

حرك الحارس رأسه بيأس قائلا:

- لو كانوا قلة لفعلنا ولكن ما الفائدة الآن من قتل عشرة أو مائة أو حتى ألف النتيجة واحدة يا مولاى .. الهلاك

أمافى الخارج فلقد وقف "جاسر" مجاوراً لـ"صارم الحكيم " وقال وهو يشير بإتجاه القصر:

- إنها اللحظة الحاسمة يا "صارم" ولكنى أخشى على الملك "الصالح" بالداخل ..إنه فى سجنهم وبين أيديهم ومن الممكن أن ينتقموا منه ويقتلوه هل نقتحم القصر أم ماذا ترى؟

عبث"صارم " بلحيته وهو يحركها بتفكير عميق ثم قال ببطء وهو ينظر إلى "جاسر" نظرة يفهمها:

- لم يبقى سوى الحراس بالداخل شاهرين أسلحتهم فلو اقتحمنا لحدثت مقتلة عظيمة ولقد اتفقنا على عدم حمل السلاح .. الأمر لا يحتاج سوى رجل يعرف جيدا الطريق إلى السجن أسفل القصر فقط

فهم "جاسر" ما يرمى إليه "صارم " ويقصده فإستدار على الفور بفرسه الأدهم وهو يقول موجهاً حديثه لـ"صارم" :

- إعتنى بزوجتى إن حدث لى مكروه

قال كلمته وإنطلق على الفور نحو البوابات الخلفية للقصر والتى استطاعت "مودة" من قبل خلال رسائلها أن تنقل إليه كل شىء تعلمه عن مكان تلك السجون القابعة أسفل القصر والتى يحتجز بها الملك " الصالح "

تسلق "جاسر" بخفة وسرعة الفهد أحد الأسوار التى إنتقاها بعناية فهى بعيدة عن الأعين وأقل ارتفاعاً يحفها أوراق الشجر المتناثر على أرجائها بغير تناسق .. وهو يتمتم بإنتصار بعد أن عبر داخل البستان الخلفى :

- لو لم أتدرب كل تلك السنين إلا من أجل هذا لكان كافيا

أما فى الداخل فلقد كان "سيسيان "قد حسم أمره بعد أن علم بهروب قائدى االجيش والحرس وأيقن أنه اصبح وحيدا الا من بعض الحرس فى الخارج واستل سيفه وهو يتجه إلى القبو والذى اصبح خاليا بعد أن تركه الحراس وإتجهوا جميعا إلى الأعلى نحو البوابات الرئيسية لحمايتها من الاقتحام

هبط درجات القبو كالمجنون شاهراً سيفه وقد عزم الأمر على قتل "الصالح" فإن لم يصبح هو الحاكم فلن يترك "الصالح" على قيد الحياة ليعود حاكما منتصرا من جديد
توقف أمام الباب الحديدى وفتح مزلاجة بقوة فأصدر صريراً مزعجاً .. دفعه واقترب من الباب الداخلى وأخرج المفتاح الحديدى بعنف وفتح الباب وهو يدفعه للداخل بغيظ شديد ودلف للداخل ووقف ينظر إلى الملك "الصالح" الذى ما أن رآه حتى وقف أمامه بشموخ ونظر إلى سيفه المشهر نظرة ثبات ساخرة ثم عاد بعينيه إلى "سيسيان" لتتلاقى أعينهما من جديد وهنا صرخ "سيسيان" غاضباً :
- سأقتلك قبل أن تخرج منتصراً
قال كلمته وهو يقترب من "الصالح " الذى نظر له بثبات وهو يعقد ذراعيه أمام صدره قائلا:
- مسكين يا "سيسيان" أنك لم تتعلم بعد .. تظن أنك بقتلى ستنتصر وأنت لا تعلم أن دمى سيشعل مدفئة الحرية فى نفوس الأحرار
إندفعت شرارات اللهب من وجه "سيسيان" حقدا وبغضا وقبل أن يتقدم أتاه صوت والده من الخلف وهو يقول بقسوة :
- وأنا ايها العاق ماذا ستفعل بى هل ستقتلنى أنا أيضا
إلتفت إليه "سيسيان" وقال مستهزءاً :
- موتك من حياتك لا يمثل أى شىء فلقد أنتهى دورك منذ زمن
هز "المنصور" رأسه بأسى وهو يقول:
- معك حق .. فأنا من صعنت من نفسى أضحوكة تلوكها الأفواه
نظر له "سيسيان" بإزدراء وعاد بعينيه إلى "الصالح" وهم بالتقدم نحوه لقتله فى الحال ولكنه توقف عندما استمع إلى الصوت القادم من خلفه يتوعده ويحذره :
- إخفض سيفك أمام الحاكم يا "سيسيان" وإلا قتلتك
استدار "سيسيان" وتعلقت الأبصار بهذا القادم من العدم وإنعدمت لغة الحروف وتحكمت لغة السيوف ..
اصطك النصلان بصليل مزعج قاتل يبعث الرهبة فى النفوس تفوح منه رائحة الدم الخانقة ..
لقد كان "جاسر" أكثر مهارة وقوة ولكن "سيسيان" كان أكثر غضباً وبغضاً..
تجمع الناس فى الخارج فى مجموعات ملتفة حول بعضها البعض ودارت بينهم محادثات جانبية فمنهم من ينتظر خوفا ويريد أن يرحل ومنهم من هو ثابت تلمع عينيه بالأمل والنصر ومنهم من هو مثبط للعزائم هزيل الكلمات يدعو للتراجع أينما كان وهى الفئة التى تأتى دائما للمشاهدة ومتابعة ما يحدث عن قرب فقط .. وقف أحد هؤلاء يتحدث إلى الناس قائلا :
- يبدو أن وقفتنا هذه لا طائل من ورائها هيا بنا نرحل قبل أن يقتلونا
إنقض "سيسيان" على "جاسر" بضربة قوية حانقة أجبرت "جاسر" على التراجع للخلف خطوة واحدة ليستعيد توازنه من جديد وهو يصد تلك الضربة العاصفة
هتف رجل آخر يبدو عليه أنه من هؤلاء الثابتون :
- أبعد كل هذا وبعد ما وصلنا إليه نرحل ؟! لا والله لا يكون أبدا

استعاد "جاسر" توازنه سريعاً وبادر "سيسيان" بضربات متتالية كل ضربة أقوى من أختها كادت أن تطيح بسيف "سيسيان" من سرعتها وقوتها

ضم أحد الرجال إبنته إلى صدره وهو يقول خوفا :
- إذا قبضوا علينا فلمن سنترك بناتنا وزوجاتنا
تناول آخر يد زوجته وهو يقول متابعاً:
- يكفى ما حدث حتى الان يبدو أنه لا أمل من البقاء
قفز "سيسيان" عاليا ليتفادى بنجاح ضربة قاصمة كادت أن تفصل قدماه عن جسده وظهرت ابتسامة مقززة حول ثغره وهو يحكم قبضته حول مقبض سيفه وينهال على سيف "جاسر" مهاجماً ببراعة أجبرت "جاسر" على التحرك بسرعة يمينا قبل أن يلتصق ظهره بباب الزنزانة فيكون بين المطرقة والسندان
كاد أن يتحرك البعض للعودة ولكن أمرأة يظهر على ثيابها الفقر والحاجة وقفت تهتف بهم :
- أفى اللحظة الحاسمة تتركونا وتتركون قضيتكم التى جئتم من أجلها ما هذا الثبات المترنح يا رجال لقد أوشك الليل أن ينصرم وبات القليل على بزوغ الفجر فلا تتخاذلوا وتخذلوا أخوانكم
إنقض "جاسر" مرة أخرى بعزيمة أكبر وهو يهتف:
- لا أريد أن اقتلك يا "سيسيان" استسلم أفضل لك
نزع "سيسيان" وشاحه بعد أن دفع سيف "جاسر" وقفز ليتخطى أحد المقاعد الخشبية حتى لا يتعثر بها وهنا أشار "جاسر" إلى الملك "الصالح " أن يبتعد نحو الباب حتى لا يصاب وقد اقتربوا منه بقوة دار كل منهما حول الآخر ببطء قاتل وقد عزم كل منهم على الفتك بخصمه وكل منهما يرقب تحركات غريمه بعينين كالصقر واستعداداً للإنقضاضة الأخيرة .. إنقضاضة الموت

أندس بين الناس بعض الجواسيس ووقفوا يهتفون فى الناس وهم يشيرون إلى الأسوار صارخين:
- إأنظروا حولكم لقد أحيط بنا وسوف يقتلونا .. لقد طال الإنتظار ويبدو أنهم قتلوا الملك "الصالح" هيا فليعد الجميع إلى منازله
كاد أن يحدث تصدع بين صفوف العامة لولا خروج الفتيان والشباب فى صفوف متشابكة أيديهم وخلفهم صفوف أخرى من الفتيات والنساء ووقفوا بالقرب من الأسوار هاتفين فى الجمع الغفير:
- من أراد منكم الرحيل فليرحل أما نحن فصامدون
صمود الفتيان والفتيات كان هو الوتد الحقيقى وثبت الجميع أقدامه عازمين على الإستمرار وعدم العودة مهما كلفهم ذلك من خسائر قريبة
وهنا إنقض "جاسر" كالصقر بمهارة وخفة وقوة لا قبل لـ"سيسيان" بها وأطاح بسيفه ليرتطم بالجدار ووجد "سيسيان " نصل سيف "جاسر" مثبتاً بالقرب من عنقه وصوته الهادر
يقول :
- استسلم يا "سيسيان" لا أريد قتلك وأنت أعزل
شعر "جاسر" بيد توضع على كتفه من الخلف وصوت الملك" الصالح" قائلا:
- لا تقتله يا ولدى فليس من شيم الفرسان قتل العُزل

ولكن من شيم اللئام التمرد والخيانة أيها الملك "الصالح" فأخلاق الفرسان لا تصلح مع اللئام ..
أخرج "سيسيان " خنجرا وغرزة بذراع "جاسر" الممسكة بالسيف ودفعة بقوة وفر هارباً
نزع "جاسر" الخنجر بقوة متألما وقبض على جرحه يمنعه من النزيف وهويقول بألم :
- هيا يا مولاى الملك فلتخرج إلى الناس فلقد طال إنتظارهمً
أتسعت أعين الحراس فوق أبراج القصر وهم يرون "سيسيان" يخرج من القصر مهرولاً بدون سلاحه ووشاحه متجهاً إلى أحد الأسوار ليتسلقها إلى الخارج فأدرك الجميع أنهم مُغرقون فتركوا أسلحتهم وابراجهم بحركات متخبطة لاحظها الناس خارج الاسوار وهتف "صارم" بصوت عالى منبهاً:
- لابد أن "سيسيان" يهرب الان وهم يحاولون اللحاق به
إلتف الناس حول القصر على الفور فى محاولة للحاق بـ"سيسيان" قبل أن يهرب ولكنه كان قد باغت أحد المارة وضربه حتى افقده الوعى ثم أتشح بردائه وسار بين الناس متخفيا حتى لا يلحظه أحد .. وفجأة هتف صبى صغير مر به "سيسيان" وهو لا يدرك أن هذا الطفل أحد ضحاياه .. قد تيتم وفقد عائلته جميعا على يديه الباطشة ويحفظ وجهه عن ظهر قلب وسمع الصغير يصرخ فى الناس:
- هذا هو "سيسيان" قاتل ابى وأمى وأخى
حاول الهرب ولكنه أحيط به من كل صوب .. حاول تلامذة "صارم" تخليصه لمحاكمته ولكن الناس لم يمهلوهم الوقت الكافى فلقد كان لكل منهم دم مسفوحا قد أريق على يديه أما ابا أو أما أوأخاً أو أختاً أو صديق حتى الأطفال لم ينجو من بطشه وجبروته .. لك يكن يتصور الأمير "سيسيان" أنه فى يوم من الايام بعد أن كان يحلم بالملك والعظمة أن تأتى نهاية بالضرب بالأحذية كأى لص خسيس ..
تعالت الهتافات وابتسمت الثغور لترسم لوحة النصر بريشة الصمود عندما خرج الملك "الصالح" فاتحا ذراعي عن آخرهما بين الناس وكأنه يحتضنهم جميعاً وينظر إليهم بأحترام وتقدير فهذا هو الجيل الذى لم يتخلى عن الحرية ولم يستسلم كما استسلم من قبله وعانق "صارم" بقوة ثم نظر إليه بابتسامة ودودة وهو يقول :
- كم كنت حكيماً ايها "الحكيم"
أبتسم "صارم" وهو يبادله العناق قائلا برضا :
- كم كنت ثابتاً ايها "الصالح"
أمسكت "ياسمينا" بذراع "جاسر" بهلع وهى ترى الدم يتدفق منه وقالت بلوعة:
- ماذا اصابك يا "جاسر"
ابتسم مشاكساً ليبعث الامان إلى نفسها قائلا:
- لا تقلقى يا حبيبتى أنها طعنة خنجر صغيرة ولقد نزف الخنجر على اثرها كثيرا
ابتسمت من دعابته من بين دمع خوفها وجزعها وهى تربط جرح بجزء من ثيابها مزقته لأجله

وقف الملك "الصالح" يهتف بين الناس ليصل صوته للجميع وهو يحيهم على صمودهم وثباتهم ثم قال معتذرا:
- أعتذر منكم جميعا فلكل منا أخطاء ولقد كان خطأى كبيرا لقد ظننت أن إكرام اللئيم سيعيده إلى صوابه وسيجعله يتشارك معنا فى بناء بلادنا ولكنى كنت مخطئا لقد زاده الإكرام خسةً ودناءة وطمعاً

.. أعتذر منكم لأنى رايت خيوط المؤامرات من حولى منذ اليوم الأول لى فى الحكم ولكنى لم أطلعكم عليها ولم اشرككم فيها لتعيننونى بقوة ولتضربوا معى على ايدى الفساد المستشرى فى بلادنا ..
قررت أن أحل تلك المشاكل وحدى ولكن الزمن اثبت لى أننى قد جانبى الصواب ..
لقد مرت بلادنا بالكثير فى السنوات الدامية الماضيه ولابد أن نضع جميعا ايدينا جنبا إلى جنب بل وتتشابك لنصنع منها طوقا نُخرج به بلادنا مما ألم بها من خراب وفساد ودمار على يد هؤلاء السفاحين سنطهر بلادنا بايدينا سنعيد بنائها من جديد فهى تستحق ذلك فأعينونى بقوة .
ألتفت "جاسر" إلى "ياسمينا" مبتسماً بسعادة ثم همسً بخفوت:
- هيا بنا
أومأت براسها موافقة وخرجت بصحبة وهو يلف كتفها بذراعه الصحيحة وهو يبحث بعينيه عن "جسور" و"عنان" حتى وجدها فاطلق صفيرة المميز مما جعل "جسور" يأتى إليه على الفور يتهادى ببطء بين الناس المتفرقة حوله حتى اقترب منه بينما وقفت "عنان" بجوار أميرتها الجميلة ..أشار لها "جاسر" أن تمتطى مهرتها وما أن استدارت وهى تهم بأعتلاء صهوة جوادها حتى رأت سهماً يشق الهواء بأتجاه "جاسر" سهماً مصوباً بأحكام يعرف طريقه تماماً فصرخت لتنبهه بفزع وهلع صرخة عظيمة باسمه :
- "جاااسر "
ألتف الأطباء بردائهم الأبيض حول سريرها داخل حجرتها الخاصة بالمشفى وهم يوقعون الكشف الطبى عليها ويحقنونها بمادة مهدئة لتهدأ وتكف عن الصراخ بهلع ووالدتها تقف فى الخارج ترفع أكف الضراعة إلى الله تدعو لابنتها بالعافية ودموعها تذرف أنهارا فوق وجنتيها ..
إقترب منها ببطء وهو يلف ضمادة حول ذراعه وكتفه يتسائل بلهفة :
- "ياسمين" فاقت ؟.. هى دى اللى كانت بتصرخ ؟
نظرت إليه والدتها لا تكاد تراه من كثرة دمعها وهى تومىء بالموافقة قائلة:
- ايوا يابنى فاقت الحمد لله بس عماله تصرخ جامد والدكاتره إضطروا يدوها حقنه مهدئه
أستند بذراعه الأخرى على حافة باب حجرتها وألقى براسها فوقها وهو يغمض عينيه بألم ولسانه يلهج بالدعاء لها بالشفاء وضعت كفها على ظهره وهى تقول مواسية اياه :
- بالراحه على نفسك يا "جاسر" يابنى أنت شكلك مرهق وتعبان أوى روح انت ارتاح وأنا جنبها
رفع راسه إليها وقال بألم :
- أنا مصدقت أنها فاقت من الغيبوبه مش هينفع أمشى من غير ما اشوفها
فى تلك اللحظه خرج الطبيب المعالج لها من الحجرة ووقف أمامهما وهو يشعر بالأسف الشديد قائلا:
- الحمد لله يا جماعه أنها فاقت من الغيبوبه بس مع الأسف
تابعته الأعين فى لهفه تحثه على أستكمال الحديث فقال معتذرا :
- أحيانا الواحد لما بيتعرض لصدمه بيفقد القدره على الكلام بس دى حالة نفسيه يعنى مع الوقت هتتحسن وترجع زى الاول
تراجع والدتها للخلف خطوات وهى تضع يدها على فمها غير مصدقه أن ابنتها فقدت النطق بهذا الشكل بينما هتف "جاسر" غير مستوعب للأمر:
- أزاى يعنى مبقتش قادره تتكلم ازاى وليه

أجابه الطبيب متفهما :
- دى حاله عارضه هتزول مع الوقت .. لما تفوق من الحقنه اللى أدنهالها أدخلها على طول يمكن لما تشوفك قدامها كويس ومحصلكش حاجه تتحسن
مسح وجهه بقوة وهو يقول بانفعال :
- يعنى انا السبب فى اللى حصلها ده
اقتربت والدتها منهما وهى تستمع لما يدور بينهما ولم تتوقف دموعها لحظة عن الهطول وهى تقول بصوت باكى:
- "ياسمين" مش بتعتبرك جوزها وبس يا "جاسر" يابنى .. ده من ساعة ما ابوها راح قدام عينيها فى رابعه وهى بتعتبرك كل دنيتها
ألتقت الطبيب طرف حديث والدتها وهو يقول شارحاً:
- يبقى علشان كده لما شافتك بتتضرب بالنار وانت جنبها فى أحداث رمسيس مقدرتش تستحمل مرارة أنها تفقدك أنت كمان فوقعت فى غيبوبه وفقدت قدرتها على الكلام
حرك "جاسر" راسه باضطراب وهو يشعر بالقلق الشديد على زوجته طريحة الفراش بالداخل .. يريد ان يقتحم عقلها وقلبها ليطمئنها عليه لتنهض وتعود كالفراشة تملىء حياته بالورود والرياحين كما كانت .. سمح لهما الطبيب بالجلوس فى حجرتها حتى أنتصف النهار وبدأت عينيها ترتعش وتتحرك وهى تستعيد وعيها ببطء وترى أمامها صور باطنيه تدور فى عقلها تباعاً واحدة تلو الاخرى " جاسر" "مودة" "عنان" "صارم" "سيسيان" السهم ينطلق يشق طريقة بأتجاه زوجها الحبيب يكاد يصيبه صرخت مرة أخرى وهى تنتفض من فراشها نهض "جاسر" وهو يكاد يقفز من مقعده بأتجاهها وهى تنظر إليه بعينين دامعتين نظرة غريبة وكأنها تراه لأول مرة تتفحص ملابسه وهيئته وماهى إلا ثوانى واستعادت عقلها وبدأت تستوعب الامر وهى تتحسس ذراعه المربوط بلوعة وهو يلف ذراعه الأخرى حول كتفها يضمها إلى صدره ووالدتها تقف أمامها ملتعاة بعيني متورمتين من اثر البكاء واستمعت إليها وهى تقول بحب:
- حمد لله على سلامتك يا بنتى
واخترق اذنها صوته الحنون وهو يقول بقلق :
- "ياسمين" انا بخير يا حبيبتى أطمنى أنا كويس الرصاصه جات فى كتفى بس
حاولت أن تتكلم ولكنها لم تستطع شعرت بلسانها ثقيل جدا وكأنه مغطى بالرمال الكثيفه من كل جانب وهنا مسح "جاسر" على شعرها بحنان وهو يقول مطمئناً:
- الدكتور قالنا ان الحاله دى نتيجه صدمة وهتتحسن مع الوقت متقلقيش يا حبيبتى
زاغت عينيها وهى تمتلىء بالدموع عن آخرها حتى فاضت بما بها من عبرات ساخنه سالت على وجنتيها بصمت واضطراب لم تستطع والدتها التحمل أكثر من هذا استدارت فى الاتجاه الاخر وجلست بجوارها وأخذتها بداخل صدرها تضمها بقوة وهى تقبل شعرها وجبهتها قائلة:
- متخافيش يا حبيبتى هتبقى كويسه ان شاء الله مع الوقت
طرق الطبيب باب الحجرة ودخل وعلى وجهه ابتسامة كبيرة قائلا بمرح:
- لا ده أحنا أتحسنا أوى أهو يالا قومى بقى بلاش دلع

وفى نهاية اليوم كانت "ياسمين" تدلف إلى شقتها مستندة إلى ذراع زوجها الحبيب ودلفت والدتها خلفهما مباشرة وأغلقت الباب خلفها وهى تقول مستبشرة:

- الحمد لله يابنتى نورتى بيتك من تانى

ابتسمت "ياسمين" بهدوء لوالدتها وهى تجلس على الاريكة ببطء و"جاسر" يجلس بجوارها مبتسماً ثم قال:

- أتحسنى بقى بسرعه يا "ياسمين" عاوز أخدك ونسافر أى حتة نغير جو

ألتفتت إليه بعينين متسائلتين فقال على الفور:

- أى حته بره مصر

قطبت جبينها وهى تنظر له فتبادل النظرات مع والدتها ثم قال بحيرة:

- "ياسمين" عاوزه حاجه فى حاجه مضايقاكى؟

اشارت له بكلتا يديها أنها تريد قلما وأوراق فحرك راسه موافقة وهو ينهض ويتجه لحجرة مكتبة الخاصة وبعد قليل عاد وهو يحمل دفترا كبيرا من الاوراق وقلما وأعطاه اياها

فأخذته على الفور وكتبت فى أول أوراقه :

- مش هنمشى ونسيب بلدنا يا "جاسر"

ورفعت الدفتر بيديها بحركة عصبية امام وجهه فقال باضطراب :

- أنا كنت بقول زيك كده يا "ياسمين" لكن زهقت وتعبت واضح أن مفيش أمل خلاص

دمعت عيناها وهى تكتب بحركات مضطربه:

- مش هنبيع دم اللى راحوا قدام عنينا .. مش هنسيبها للسفاحين .. ولادنا والأجيال اللى جايه عمرهم ما هيسامحونا .. فى أمل طول ما أحنا صامدين

قرأ "جاسر" ما كتبت ودمعت عيناه على اثر كلماتها وأطرق براسه يفكر فى كلماتها وما هى إلا لحظات قليلة حتى رفع راسه بابتسامة براقة وهو يحرك راسه لها بالموافقة وهو يتناول كفها بين يديه ويقبلها فسحبت يدها بهدوء من بين يديه وهى تبتسم بأمل وتناولت الدفتر من جديد وفتحت صفحة منه جديده وكتبت بخط كبير كلمة واحدة ربما تنقشها بداخل صدرها وصدره وهى تخط بها ورقتها وربما تكتبها بمداد صمودها وثباتها وإيمانها كما تكتبها بمداد الحبر بداخل القلم ثم رفعت الورقة بكلتا يديها أمام وجهيهما وربما ارادت أن ترفعها فى ذلك الحين فى وجه كل من خارت عزيمته وفكر فى العوده والتراجع ..

أشتعل الحماس بقلبه من جديد وهو يمرر عينيه على صفحة دفترها بين يديها ويقرأ كلمتها بصوت مسموع ... مـكـمـلين

تمت بحمد الله

أنتهت الروايه ولم تنتهى القضية

مكمل بسلمية

https://www.youtube.com/watch?feature=player_embedded&v=w9S0T7zIVv8